كتاب ديوان الإمام ابن حزم الظاهرى

جمع وتحقيق

د/صبحى رشاد عبد الكريم .

كلية اللغة العربية–جامعة الأزهر

الناشر : دار الصحابة للتراث–طنطا – مصر

قام بنسخه : أبو محمد المصرى .... مشرف أقسام الملتقى العام بموقع دار أهل الظاهر

****

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ[1]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [2]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [3]

---

[1] سورة آل عمران (آية ١٠٢)

[2] سورة النساء (آية ١)

[3] سورة الأحزاب (آية ٧٠-٧١)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

وصف المخطوطة :

وبعد فبين يديك أخى القارئ وصف لمخطوط (ديوان الإمام ابن حزم الأندلسي) الذى يطبع لأول مرة .

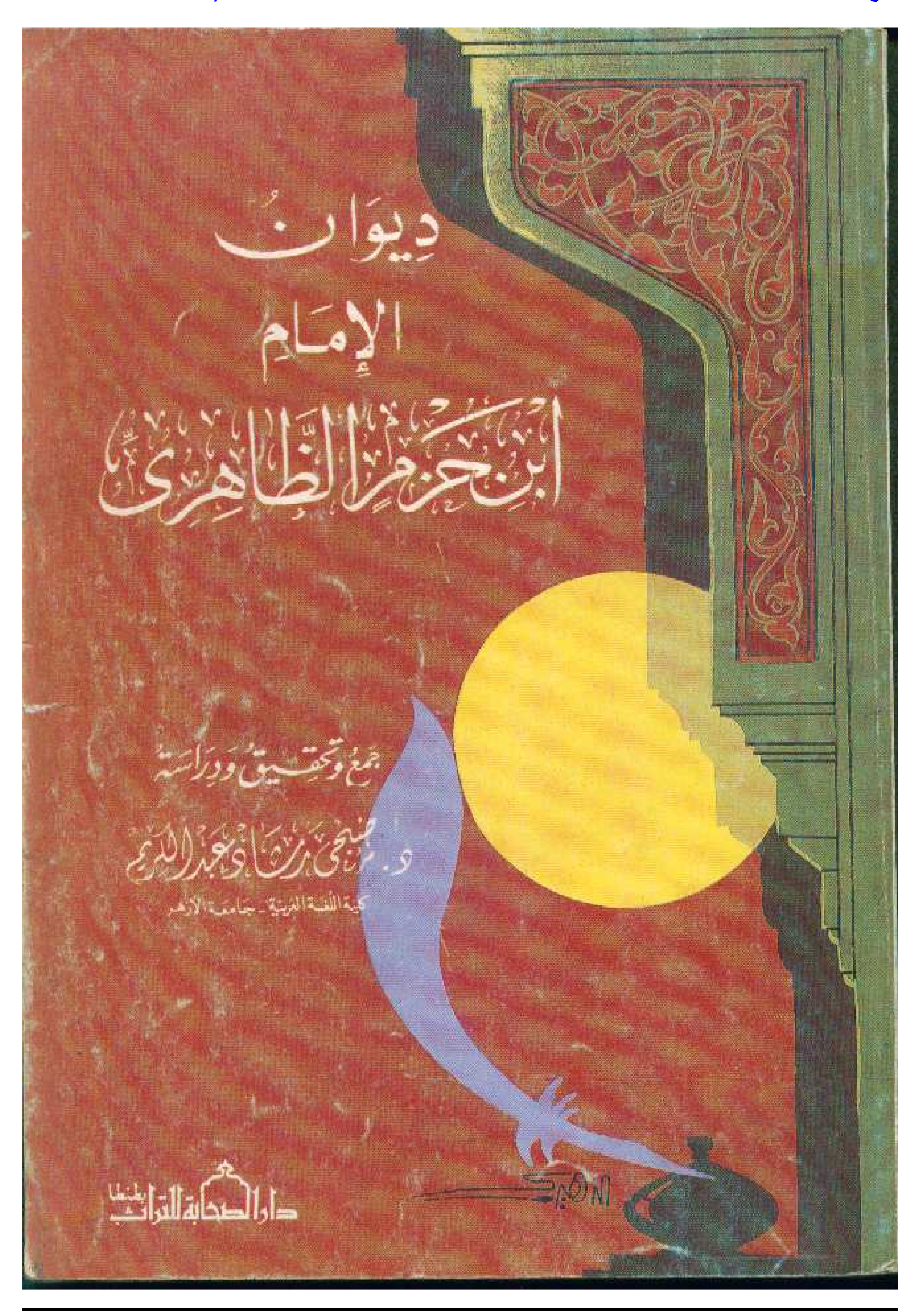
فقد وردت مخطوطة الديوان فى فهرس المخطوطات تحت عنوان (ديوان ابن حزم) تحت رقم (١٦٣٠٢) وعدد صفحاتها (١٤٣) صفحة ، كل صفحة تحتوى علـــى (٢٠) سطراً تقريباً كل سطر يحتوى على حوالى تسع كلمات وكتبت بخط نسخى واضح إلا فى بعض الكلمات القليلة .

وقد ذكر الدكتور الطاهر أحمد مكى فى كتابه (دراسات عن ابن حـــزم) وكتابـــه (طوق الحمامة) ص / ٣٥٧ قصة هذا المخطوط .

ومما يؤكد نسبة هذا المخطوط لابن حزم ما نقله الزركلى فى الأعلام (٤/٢٥٤) .

وأخيراً نتركك أخى القارئ مع صفحات هذا الديوان لتستمتع بما فيه من درر .

صورة الغلاف فى الصفحة التالية


ديوان
الإمام
ابن حزم الظاهري
جمع وتحقيق ودراسة
د. صبحي رشاد عبد الكريم
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر
دار الصحابة للتراث بطنطا

مقدمة المحقق

الحمد لله أولا وآخر والصلاة والسلام على المبعوث بشيراً ونذيراً سيدنا محمد أفضل الخلق وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بالحق وعملوا به وعلموه وآووه ونصروه فكانوا للناس أسوة وقدوة فى علمهم وعملهم فربحوا دنياهم وفازوا بآخرهم .

وبعد : فهذا هو الوجه الأدبي للفقيه العالم الأندلسي أبي محمد على بن سعيد بن حزم الظاهرى الذى شاع ذكره وطار فى المشرق والمغرب صيته وعلمه يتماثل امامك فى هذا الشعر المحقق والمجموع بغية تعريف الدارسين بآثاره الأدبية التى من أَجَلِها قصائده الشعرية ، ومن قديم والناس يعرفون لابن حزم أنه صاحب (طوق الحمامة) وأنه الأثر الأدبي الشعري له .

والآن نضيف إليه تحقيق ديوانه ونزيل الخفاء ونكشف الإلباس عما به وما جرى بشأنه .

وحتى تكتمل الصورة ويتم العمل ضممنا إلى قصائد الديوان ما تردد من شعر له فى المراجع الأدبية والتاريخية وسير الرجال وكتبه التى ألفها ما عدا (طوق الحمامة) فلم ننقل منه بيتاً حيث يمثل جانباً من شعر الرجل ونثره مستقلاً بذاته .

آملين أن ينفع الله به والله الهادى إلى سواء السبيل .

د/صبحى رشاد عبد الكريم

المدرس بكلية اللغة العربية–فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

من هو ابن حزم ؟ [1]

هو الإمام الحافظ العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي اصل جده من فارس أسلم وخلف المذكور وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم وكانت بلدهم قرطبة [2] فولد ابن حزم هذا بها في سلخ رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة فقرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية وبرز فيها وفاق أهل زمانه وصنف الكتب المشهورة يقال إنه صنف أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة وكان اديبا طبيبا شاعرا فصيحا له في الطب والمنطق كتب وكان من بيت وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة وكان مصاحبا للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري وكان مناوئا للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي وقد جرت بينهما مناظرات يطول ذكرها .

وكان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه فأورثه ذلك حقدا في قلوب أهل زمانه ومازالوا به حتى بغضوه إلى ملوكهم فطردوه عن بلاده حتى كانت وفاته في قرية له في شعبان من هذه السنة [3] (ذكر الذهبي فى شذرات الذهب

---

[1] هذه الترجمة ذكرها ابن كثير فى البداية والنهاية ج١٢/١٩-٩٢ ط ١٩٧٨ – دار الفكر بيروت

[2] ولذلك يلقب بالقرطبي

[3] يقول الباحث الشيخ ابن تميم الظاهرى الكويتى حفظه الله رداً على هذا الخطأ التاريخي :(من يقول أن الإمام ابن حزم الظاهري قد سب وطعن في أئمة الدين فقد كذب عليه أو جهل حقيقة قول الإمام في المسائل التي يعترض عليها ..
وقد سمعنا هذا كثيراً من طلبة علم أو حتى علماء أثناء الدراسات العليا ..وكان حقد بعضهم وهم مقلدة لمذهب من المذاهب الأربعة لأجل ما يقولونه أنه طعن بأئمة المذاهب الأربعة ..لذلك كرهوه وبغضوا قولهم وكتبه .. !
وهذا كما قلت آنفاً ..أنهم جهلوا حقيقة هذه المقولة فقلدوا بها غيرهم ممن روّج لها للتشنيع على الإمام ..فالإمام رحمه الله تعالى لم يطعن في إمام من أئمة الاجتهاد الأربعة أو غيرهم ..ومن ادعى غير هذا فليذكر المكان الذي طعن به في أحد من هؤلاء لنراه ونكشف ما فيه إن كان حقاً هو طعن وشتم وسب أو غيره ..وهناك فرق بين أن أصف القول بأنه باطل أو فاسد أو جنون أو هوى ..وبين أن أصف قائله بذلك ..ومن أدرك هذا ارتاح وأمن من هذه التهمة الباطلة ..
قد يلزم أن يكون هذا القائل مواقع لذلك الوصف الذي وصفنا به القول ..لكن هذا إن لم يتقدم قولنا في الثناء على قائله ومدحه وعده من أئمة الدين والهدى ..وقد تقدم كلام الإمام فيهم بكلام نفيس غاية في الإنصاف والإحسان والبر ..
وإنما الإمام يتكلم مع خصومه الذين قلدوا هؤلاء الأئمة ..وأبطلوا النصوص الشرعية وكانت حجته أنها مخالفة لإمامهم الذي يقلدونه في دينهم ..فاشتد ذلك على الإمام ودافع عن النصوص وأبطل وشنّع على كل من رد النصوص الصحيحة لأجل نصرة قول إمامه ..
وكل ما يتكلم به الإمام في كتبه متجه إلى القول نفسه ولا علاقة له بالقائل ..خاصة إن كان من أئمة الاجتهاد الذين أثنى عليهم في أكثر من رسالة وموضع وأعلى من شأنهم ..

وحتى من عاصره وشدد معه القول فعندما شنّع عليهم لترك النصوص لنصرة قول الإمام فلم يسمهم باسمهم في كل ما رد به ..
ولما أتى إلى خصم من خصومه وهو الباجي المالكي أثنى عليه وأنصفه ولم يعيبه في دينه ولا خلقه ..
وكان إذا أراد التشنيع على باطل أو بدعة لم يذكر الأشخاص بأسمائهم في كتبه إلا من اشتهر قوله بباطل أو بدعة ..كالأصم والنظام ومن كان من أمثالهما ..وإن أصرينا على أنه طعن في أحدهم – وهذا لا أجده على كثرة ما تتبع كتب الإمام - ..
فمن يعترض بهذا يقول ..كلام الأقران في بعضهم ليس بحجة ..فنبطل كلامه في ذلك الشخص مما هو في دينه أو عقله أو غيره ..
وننظر في قول ذلك القائل إن كان صحيحاً أو باطلاً ..فلا يعني إن نفينا تلك التهمة أن نوافق القائل بما جاء به ..
وقد حطّ الثوري على أئمة في الدين فما أنقصهم ذلك ..وحطّ كذلك غيره على أئمة فما عرّاهم من العلم ولا أفسد قولهم ..
فالعبرة بالقول وموافقته للحق اليقيني ..ونسأل من يتجاوز حد الإنصاف ههنا ..إذا كان الإمام يعني بتوهين القول والطعن به ..
صاحبه الذي تكلم به ..فلماذا سماهم أئمة هدى ودين وكتب فيهم رسالة خاصة .. ؟!
وقد أدرجها البعض في كتابه الإحكام في أصول الأحكام ..
وإن كان الإمام ابن حزم قال كلمة فنحملها على الخطأ بلا تعمد ذلك ..
لما قدّمه من الثناء عليهم والانتساب إليهم ..وإن كان هذا حاكماً على منهج ما لكان الذي سب وشتم الإمام صراحاً بكتابه ناقضاً لمذهبه ..انظر كتاب السيف المجلى في الرد على المحلى للحنفي الهندي ..ولدي نسخة منه وفيه الطعن الصريح والشتم والسب ..
هل نقول أن مذهب أهل الرأي باطل لأجل هذه .. ؟!
حتما لا نقول ..بل نقول أننا نرى بطلانه من وجه آخر وليس هذا وجهه ..
وكذلك يقول أهل الرأي عن منهج أهل الظاهر ..وإلا تحكموا وتلاعبوا في الحقائق ..وقد يذكر هذه الفرية بعض الحاقدين على الإمام أو الجاهلين بهذه الحوادث ..لأجل نقضه لأصولهم وفروعهم ببرهان وقوة لم يألفوها ..
حتى أن بعض مقلدي مالك يقول لأصحابه لا تناقشوا أهل الظاهر .. !وهو أحد هؤلاء الذين كذب على الإمام ابن حزم أو نقل له خبراً مكذوباً ..فقال به وصدع ونشره في كتبه ..
وقد تصدى له شيخنا العلامة ابن عقيل الظاهري ..جزاه الله عنا وعن أهل الظاهر خير الجزاء ..وقد كان الإمام في زمن تقليد ، ويندر وجود من عاصره وخرج عن هذه الرتبة ..فكلامه في المحلى وغيره لمن عاصروه من أهل التقليد الذين قلما يقرأ أحدهم في كتب السنة ويفرق بين الصحيح والضعيف من الأثر فنافروه لأجل تلك الفضيلة التي عجزوا عن إبطالها ..
ولا حاجة لأهل الظاهر إلى القول أن الإمام كان شديد الغضب وكانت به علة تجعله يكون متسرعاً لضيق في صدره ..
فكلام مثل هذا لا يقول به المنصف ..فالإمام كتب كتبه ولم يكتب في منتديات حوار .. !وكتب كتبه وراجعها واستدرك عليها ..فهل يعقل أن يجد ما يطعن به بإمام من أئمة الهدى ثم لا يغيره .. ؟!فلماذا وجدنا في كتبه التي بين أيدينا قوله : (ثم استدركنا ، وكنا نقول كذا ، وإلى آخره من هذه النصوص المشعرة بتغيير بعد تدوين) .. وهناك نماذج عن هذه الأمور من كلام الإمام ..
وأدع الإمام يحكي بنفسه عن هذا ..وقد كذب عليه شخص بعينه خفى عن الإمام أول الأمر ثم عرفه ..ورغم ذلك رد الكذب وشنع عليه ولم يذكره باسمه .
والأنموج الأول ..
يقول الإمام ابن حزم الظاهري في جواب عن رسالة أتته فيها تعنيف ..
قال الخصم ..((وهو – أي الإمام ابن حزم – ضعيف الرواية عارٍ من الشيوخ ، وإنما هي كتب حسنها وأتقنها وضبطها ، فمنها مروي مما قد رواها على شيخ أو شيخين لا أكثر ، ومنها كتب مشهورة ثابتة بيده صحيحة مثل المسانيد والمصنفات والصحيح كمسلم والبخاري ، لا يمترى في شيء منها ، ومنها ما قد خفي على المحتج لعدم الراوي لها وقلة استعمالها أو لطروئها وحدوثها في بلدتنا لم يروها علماء بلدنا ، ولا شغلوا بها ، ولا سمعوا بها فيما مضى عمن مضى ، فنافروها ولم يقبلوا عليها ، فهم لا مكذبون لها ولا عاملون بها ، ثم إنهم رأوا فيها تغليب أحاديث قد تُركت وسكت عنها الصحابة والتابعون والعلماء الماضون ، ومخالفة أحكام قد حكم بها السلف الصالح وقضوا بها واستمر الحكم عليها)) ..
فقال الإمام مجيباً ..
((هذا كلام مخلط في غاية التناقض ، أما قولهم عنا بضعف الرواية والتعري من الشيوخ : فلو كان لهم عقول لأضربوا عن هذا ؛ لأنهم ليسوا من أهل الرواية فيعرفوا قويها من ضعيفها ، ولا اشتغلوا بها قط ساعة من الدهر ، وما يعرفون إلا المدونة على تصحيفهم لها ، وما عرفوا قط من الصحابة رضي الله عنهم رجلاً ولا من التابعين عشرة رجال ، ولا يفرقون بين تابع وصاحب سوى من ذكرنا ، فلا حياء يمنعهم من أن يتعرضوا للكلام في الرواية ، وأكثر المتكلمين في هذا الباب لا يقيمون الهجاء ، ولا يعرفون ما حديث مسند من حديث مرسل ، ولا ثقة من ضعيف ، ولا حديث النبي صلى الله عليه وسلم من كعب الأحبار ، وما منهم أحد يمزج له حديث موضوع مع صحيح فيميزه ، ثم يقولون : عار من الشيوخ ، وهم ما كان لهم شيخ قط – أي في الحديث - ، ولا عمروا لمجلس حديث ، ولا اشتغلوا بتفنيده ، وإنما كان عندهم عبد الملك بن سليمان الخولاني ، فكان شيخاً صالحاً لم يكن أيضاً مكثراً من الرواية ، كان ربما ألم به بعضهم إلمام من لا يدري ما يطلب ، يخرجون من عنده كما دخلوا ، لم يعتدوا قط عنه بكلمة ، ولا اهتبلوا بما يروي بلفظه ، وإنما يقعدون عنده قعود راحة ، إذا لم يكن عليهم شغل ، ثم لم يلبث هؤلاء الخشارة أن نقضوا كذبهم خذلاناً من الله تعالى ، فشهدوا لنا بأنها كتب أتقناها وضبطناها ، منها مروي رويناه عن شيخ وشيخين ، ومنها كتب مشهورة ثابتة بأيدينا مثل المسانيد والمصنفات ، لا يمترون فيها ، وهذا ضد ما حكموا من تعرّينا من الشوخ وضعف الرواية ، فهم لا يدرون ما يقولون ، ولا يبالون بالكذب والفضيحة ، لكنا والله نصفهم بما هم أهله من أنهم ما ضبطوا قط كلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن صاحب ولا عن تابع ، ولا يحسنون قراءة حديث لو وضع بأيديهم ، ولا يفرقون بين جابر بن عبد الله وجابر بن زيد وجابر بن يزيد ، ولا يفرقون بين رأي ورواية ، وأما أن من كتبنا ما خفي على المحتج لعدم الرواي لها وقلة استعمالها فما خفاء

العلم على الحمير حجة على أهل العلم ، ولا قلة طلبهم لرواية السنن دليلاً على عدم الراوي ، بل الرواة ولله الحمد موجودون ، فمن أراد الله تعالى به خيراً وفقه لطلب ما يقرب منه ، ولم يشغله عما يعينه ما لا يعينه وما لا يغني عنه من الله شيئاً ، وكذلك ليس قلة استعمالهم لتلك الكتب عيباً على الكتب ، وإنما العيب في ذلك على من ضيعها ، وحظ نفسه ضيّع لو عقل ، وأما ما ذكروه من طرونها في بلدهم ، فما بلدهم حجة على أهل العلم ، ولكن هكذا يكون إزراء السُكارى على الأصحاء ، واعتراض أهل النقص على أهل الفضل ، والعجب كله قولهم : (علماء بلدنا) ، وهذه والله صفة معدومة في بلدهم جملة ، فما يحسنون ولله الحمد لا رأياً ولا حديثاً ولا علماً من العلوم إلا الشاذ منهم النادر ممن هو عندهم مغموز عليه ، (والجاهلون لأهل العلم أعداء) ومن جهل شيئاً عاداه ، والعجب أيضاً عيبهم كتب العلم بأنهم لم يُسْمع ذكرها عندهم ولا سمعوا بها فيما مضى ، فنافروها ولم يقبلوا عليها ، إن هذا لعجب ، فإذا نافرت كتب العلم هذه الطبقة المجهولة الجاهلة فكان ماذا ؟ لقد أذكرني هذا الجنون ما حكام الأصمعي : فإنه ذكر أنه مر بكناسين على حش ، أحدهما يكيل والثاني يستقي ، والأعلى يقول للأسفل : إن المأموم سقط من عيني مذ قتل أخاه ! فما سقوط هذه الكتب عند هؤلاء الجهال إلا كسقوط المأمون من عين الكناس ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقولهم أنهم رأوا فيها تغليب أحاديث قد تركت ، فليت شعري من تركها ؟ لئن كان تركها تارك لقد أخذ بها من هو فوقه أو مثله ، وما ضر الحديث الصحيح من تركه ، بل تاركه هو المحروم حظ الأخذ به ، فإما مخطئ مأجور في اجتهاده ، وإما عاص لله تعالى في تقليده في ترك السنة ، وأما قولهم : وسكت عنها الصحابة والتابعون والعلماء الماضون : فقد كذبوا على الصحابة والتابعين ، وعلى العلماء الماضين ، ونسبوا إليهم الباطل ، وكيف سكتوا وهم رووها ونقلوها وأقاموا بها الحجة على من بعدهم كالذي يلزمهم ، أما قولهم : ومخالفة أحكام قد حكم بها السلف الصالح ما خالفوا قط حكماً صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كان واحد منهم أو اثنان خالفوا بعض ذلك فقد وافقه غير المخالف ممن هو ربما فوق المخالف له أو مثله ، والحجة كلها هي القرآن والسنة ، لا ترك تارك ولا أخذ آخذ ، والحق حق أخذ به أو ترك ، والباطل باطل أخذ به أو ترك ، وما عدا هذا فهذر وهذيان ، وبالله تعالى التوفيق ، وما نعلق أشد خلافاً لما حكم به الصحابة والتابعون منهم ، كم قصة في الموطأ خاصة لأبي بكر الصديق وعمر وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم خالفوهم ، فمن السلف الصالح إلا هؤلاء لو عقلوا ! ، ونعوذ بالله من الخلان والجبن)) .. رسائل ابن حزم ٣/٨٢-٨٣

رد الإمام الكذب والافتراء بالحق والصواب وشنع عليهم لأجل تعمد الكذب هذا ولم يسم الكاتب هذا الذي كتب كتاباً أو رسالة ونشرها ..فمن يقول أنه طعن في أحد صراحة فليذكر هذا القول ..

وأما التشنيع في القول نفسه فهذا ما يقوم به خصوم الإمام ابن حزم الظاهري أيضاً ..أما فرية أن الحكام آذوه لأجل لسانه ففسادها ليس بكلامي أنا ..وإنما بكلام الإمام ابن حزم الظاهري ..

وهو هنا يبطل كل ما قاله من بعده أو من عاصره ليخوف الناظر من منهج أهل الظاهر ..وقد حفظت لنا رسالته هذه هذا المعنى ..وقد قال رحمه الله ..

((إلى هنا انتهى ما رسموا من السخف ، وقد أوضحنا أنه كله عائد عليهم ، وهم قوم كادونا من طريق المغالبة وإثارة العامة ، فأركس الله تعالى جدودهم ، وأضرع خدودهم ، وله الحمد كثيراً ، وخابوا في ذلك فعادوا إلى المطالبة عند السلطان ، وكتبوا الكتب الكاذبة ، فخيّب الله سعيهم ، وأبطل بغيهم ، وله الشكر واصباً ، وخسئوا في ذلك فعادوا إلى المطالبة عند أمثالهم ، فكتبوا الكتب السخيفة إلى مثل ابن زياد بداينة ، وعبد الحق بصقلية ، فأضاع الله كيدهم ، وفلّ أَيْدَهُم ، وله المن كثيراً والفضل ، فخزوا في ذلك ، ولم يبق لهم وجه إلا مثل هذه السخافة ، فرموا سهمهم الضعيف ، فأظهر الله في ذلك عوارهم ، وأبدى عارهم ، وهو أهل الطول والمنة علينا أبداً ، فعاد جدهم حسيراً ، وحدهم كسيراً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل))

بهذه الشهادة يعرف من ينصف نفسه وغيره كيف كادوا لهذا الإمام لأجل أنه أعلن أن الشرع في كتابه وسنته هو المرجوع إليه وهو الحق الذي لا يجوز غيره ..وبهذه الشهادة يبطل كل كلام قاله ممن تكلم في ترجمة له وفاته قول الإمام في نفس ما يتكلمون عنه ..

وأرادوا جعله عارياً من العلم والفضل والأدب والخلق بهذه الكذبة المفتراة ..ويزيد بعضهم أن كتب الإمام حرقت ونحو هذه الجمل للإيهام بشدة ذلك الأمر ..وقد بين الإمام بلسان نفسه كذب كل هذا ..

وسواء حرقت بعض كتبه أو كل كتبه المطبوعة في السوق فلا يعني أن الناس كلهم حرقوا كتبه ..ولا يعني أنهم حرقوا ما كان عنده وعند كل أحد في بيته من كتبه ..فلا يعدو الإحراق الذي يذكرونه حرق كتب أو بعضها في السوق من بعضهم ..فكل من حرقها حرقها تقليداً وكيداً ككيد النساء أو جهلاً ..

وما ضر علم حرق كتب حملته ..وكما حرقوا بعض كتب الإمام أتى زمان بعده حرق فيه الحاكم كتب المذاهب ..فحرقة بحرقة ..

والله سبحانه هو الديان ..فهل يقولون أن هذا التحريق لكتبهم كان يدل على فساد ما فيها .. ؟!

فإن قالوا كذلك أبطلوا هذه الفرية ..ولله تعالى الحمد وله المنة ..

أما طرده من بلده لأجل القول بالظاهر فلا يصح هذا ..

وإنما كان خروج الإمام عن بلده لأجل أمر سياسي وليس هذا ..

عندما أخذ الحكم من كان الإمام ضده ويخالفه في مسألة الحكم ..فخرج إلى بلدة أخرى يحكمها من يعرفه الإمام لئلا يأخذه هذا الحاكم بالباطل ..وقد أثبت هو في كتابه طوق الحمامة بعض هذه الأحداث وفي غيره ..

وكذلك كان قد سجنه أحدهم لأجل أمر سياسي لا علاقة له بمنهجه الظاهري ..

ولا يثبت هذا عنه أصلاً ..إنما هي حكايات تروى عند بعض المتأخرين من الإخباريين ولا يصح منها شيء ..فقد أبطل الإمام بكلامه السابق أن يكون ابن عباد وغيره قد آذوه لأجل قوله بالظاهر ..ولو كان هذا النص عن الإمام مالك أو الشافعي أو أحمد لما رضي مقلدوه أن نقول عليه بقول الإخباريين وقد وجد نص كلامه في نفس الحادثة ..

وهذا يستحلون التشنيع به على الإمام ولا يستحلون التشنيع به إن كان عن إمام يقلدوه ..فالحق والإنصاف أن نأخذ قول صاحب العلاقة في كلامنا ..

٢٩٩/٣) وما بعدها بيروت) سنة ست وخمسين وأربعمائة من الهجرة عن عن اثنتين وسبعين سنة) وذكر فى البداية والنهاية أنه قد جاوز التسعين عند وفاته .

وبعد : فالذى يهمنا أن أسرته كانت تعيش أولا فى إقليم (لَيْلَة) وفى بلدة كانت تسمى (منت ليشم) وأصبحت تسمى اليوم (منتيخار) أو (كاسا منتيخار) ثم انتقلت الأسرة كما هى عادة العمران إلى (قرطبة) بحثاً عن حياة أفضل وكان ذلك فى زمن سعيد بن حزم جد عالمنا أبي محمد .

لا أن نهمل كلامهم ونأتي بكلام مفسر أو مؤرخ أو أصولي في صاحب ذلك القول ..فما عدا ذلك تناقض وقول بالباطل والكذب ..
فإن جهل أحدهم هذا النص وغيره مما كتبه الإمام في هذه الحوادث فعذره أنه جاهل بهذه الحادثة ..
أما الذي يعلم فيردد هذه الكذبة فهو كذاب مفتر ..نسأل الله السلامة والعفو والعافية ..
الأنموذج الثاني ..
وهو في الرسالة الثانية التي عنّف فيها كاتبها على الإمام كذلك حملت بين حروفها الكذب والتشنيع ..
ويظهر من خلال النصوص أن الإمام عرف كاتبها وكاتب التي نقلت منها لكنه رحمه الله لم يسم أحدهما باسمه ..
وهذه من فضائله ..
وقد قال له خصمه في الرسالة الثانية ..
((أرجو أن يريح الله منك العباد والبلاد)) ..فقال الإمام رحمه الله ..
((فإنما يريح الله من الكافر العاند عن كلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أما المؤمن فمستريح ، وما أقول لك إلا كما قال جرير :
تمنى رجال أن أموت ، وإن أمت * * * فتلك طريق لست فيها وحدي ..
لعل الذي يبغي وفاتي ويرتجي * * * بها قبل موتي أن يكون هو الردي ..
والله لئن مت ما أسد قبوركم ، ولا أوفر عليكم رزقاً ، ولأردن على رب رحيم ، وشفيع مقبول ، لأني كنت تبع كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لا أتخذ دونهما وليجة ، لكن إن مت أنت ، فتقدم والله على رب خالفت كتابه ، وعلى نبي اطرحت أوامره ظهرياً ، وأطعت غيره دونه ، فأعدّ للمسألة جواباً ، وللبلاء جلباباً ، وسترد فتعلم ، ولا عليك إن مت عاجلاً أو تأخر موتي ، فلقد أبقى الله تعالى لك ولأمثالك مما أعانني الله ووفقني له حزناً طويلاً ، وخزياً جزيلاً ، وكسراً لكل رأي وقياس ، ونصراً للسنة مؤزراً ، ولينصرن الله من ينصره ، فهل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ؟!
وبعد ، فلتطب نفسك بعد أن تذيقها برد اليأس ، على أن تعارض بهوس ما في تلك الرسالة الحق الواضح ، وكيف تعارض نص القرآن والسنة ؟ هيهات من ذلك ، فاقصر هو أروح لك ، وأجمل بك إن شاء الله تعالى ، والسلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته ، عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله ، وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل .))
انتهت رسالته الثانية وهي في رسائل ابن حزم ١٢٧/٣-١٢٨
وهذه الفرية التي ادعوها أنه كان كثير الوقيعة في الأئمة ..
ليس هذا إلا للتنفير من قوله ..
فيتوهم القارئ لكلامهم أن هذا الرجل يطعن في أئمة الدين فلا بد أن يكون جاهلاً أو داعياً إلى باطل أو بدعة ..
فيجتنب قوله ولا يلتفت إلى حجته ..
وقد كشف الله هذه الكذبة وعرّاها بكلام الإمام نفسه ..
واستمر من يعمل بالظاهر قرناً بعد قرن ..
خفي علينا أمره أو ظهر فلا فرق ..
فالله تعالى وحده الموفق والهادي إلى سواء السبيل ..
وهو الهادي والعاصم من القول في دينه بالرأي المجرد والظن ونسبة ذلك الظن إلى الدين .. ..
وبالله تعالى التوفيق ..والحمد لله رب العالمين ..

ومن المعروف عن أحمد بن سعيد والد ابن حزم أنه كان أديباً بارزاً وعالماً صـالحاً وإدارياً حازماً وكان إلى ذلك كله ذا مهـارة عظيمـة فى الاتصـال بالأوسـاط السياسية وكسب ثقة الحكام وارتقى فى مناصبه حتى صار وزيراً للمنصور بن أبي عامر وبذلك كان بيته من البيوت الرفيعة بين بيوت الوزراء والمرموقين .

وهنا ولد ابن حزم ونشأ .[1]

وقد قضى حياته فى قصر أبيه حيث عهد إلى النساء بتربيته وتحفيظه القرآن .

وكانت نشأته نشأة مترفة ناعمة ولكنها مبنية على المحافظة والخلق القويم وتستطيع أن تحكم على أثر هذه النشأة إذا قرأت كتابه (الطوق) حيث تـراه واضـحاً فى حديثه النثرى ومقطوعاته الشعرية .

لقد أكسبته هذه التربية خبرة بأحوال النساء وأسرار نفوسهن كما أتاحـت لـه تجارب عاطفية فتحت قلبه الغض على الحب والعشق كذلك أمدته تلـك البيئـة بكثير من قصص الغرام وأطلعته على عديد من أحوال العشق ووجهته منذ حداثته إلى البحث فى فلسفة الحب .

أما ترف البيئة ونعومتها وأرستقراطيتها فقد طبعته على رقة المزاج ونعومة المشاعر وإباء النفس كما وجهته التربية المحافظة إلى الأخذ بالسلوك القويم والبعد عن كل ما يشين برغم ما كان فى حياته أولاً من مخالطة النساء . وعلى هذا نسـتطيع أن نقرر ما قاله الدكتور عويس : (لقد كانت هذه الفترة الممتدة من مولده فى رمضان سنة ٣٨٤ هـ وانتقاله من قصر أبيه إلى دورهم القديمة صحبة أبيـه فى الجانـب العربي من قرطبة ببلاط مغيث فى اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهـدى

---

١ كان مولده بقرطبة فى الجانب الشرقى بربض المنيرة بقصر أبيه من مدينة المنصور بن أبي عامر (الزاهرة) التى خص بها نفسه ومساعديه فى الحكم وجعلها إمارة تجمع بين مظهر قوة السلاح ومظاهر العظمة والجاه .
دائرة المعارف الإسلامية : مادة ابن حزم .

وذلك فى جماد الآخرة سنة ٣٩٩ هـــ وهو نحو خمسة عشر عاماً هى التى تشكلت فيها نفسية ابن حزم . فيها استقى كتاب الطوق ووصـــل إلى تصـــوير المجتمـــع الأندلسي من داخله وكان لها تأثيرها البعيد والعميق فى فكره وتربيتـــه)[1] وفى شذرات الذهب : وأول سماعه كان سنة ٣٩٩ هــ.

وعلى الرغم من أن النساء علمنه القرآن والخط وعاش معهن فخدمنه وربينـــه إلا أنه كان سيء الظن بهن يقول :

(وهن علمننى القرآن وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني فى الخط ولم يكن كـــدى وإعمال ذهنى منذ أول فهمى وأنا فى سن الطفولة جداً إلا تعرف أسبابهن والبحـــث عن أخبارهن وتحصيل ذلك وأنا لا أنسى شيئاً مما أراه منهن وأصل ذلك غيرة طبعت عليها وسوء ظن فى جهتهن فطرت به فأشرفت من سيرهن على غير قليل)[2]

وكثرة الجلوس مع النساء لا سيما فى فترة الصغر تطلع المرء على كثير من الخبايا اللائي يستحين من ذكرها أمام الكبار والإنسان منا تظل صورة النساء مقدســة أمامه حتى يطلع على بعض أسرارهن فإذا علم شيئاً مما يشين سقطن من عينه

لذا قال الدكتور عويس(ويجب أن نتخيل أن ابن حزم كذلك قــد رأى فى هــذا التعرف وفى مستهل حياته ما خوفه من المرأة) .[3]

إن الأندلس جنة فى أرض الله والريح العليل والماء العــذب السلســبيل وحيــاة القصور على الأنهار وبين الزهور ومجالس اللهو والشراب والحب والغــزل كــل ذلك له دور كبير فى صبغ المرء بصبغة الدلال ومحبة النساء

---

[1] ابن حزم الأندلسي وجهوده فى البحث التاريخي والحضارى /٥٩ ط الزهراء د/عبد الحليم عويس

[2] طوق الحمامة/٧٩

[3] كتاب الدكتور عويس: منهج ابن حزم ص ٦٣

ثم بعد ذلك تبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياة ابن حزم ، مرحلــة التحصــيل العلمي والتردد على مجالس العلماء والأخذ عنهم فى قرطبة وغيرها ولكن تبــدأ النكبات السياسية والعائلية توزع فكره وتعكر عليه صفو حياته .

بدأت الرياح تهب عاتية على حياته فقد تولى محمد المهدى الخلافة مبتــدئاً عصــر الطوائف النكد ثم تولى هشام المؤيد فاهال على بيت ابن حزم بالنكبات والاعتداء والاعتقال والتغريب والإغرام الفادح ثم توفى أخوه فى الطاعون الواقع بقرطبــة ثم توفة والده الوزير أحمد بن سعيد سنة ٤٠٢ هــ ثم ماتت زوجته الأولى التى عفــا حبه لها على كا ما قبله وحرم ما كان بعده كما قال ثم ترك قرطبــة إلى (المريــة) حيث أخلد إلى السكينة والهدوء يقرأ ويتعلم ويعتقل وينفى وخلاصة هذه السنين من عمره أنها كانت مرحلة تكوين فكرى ونفسي انقسمت قسمين النصف الأول منها وفيه تتلمذ ابن حزم على النساء فى قصر أبيه يرفل فى ثياب العــز والدعــة والنعيم والنصف الثانى وفيه اتسعت دائرة ثقافته بفعــل الأحــداث السياســية والنكبات والنفى والاغتراب والجلوس على العلماء .

وقد عرف ابن حزم بكثرة سماعه على كثير من العلماء فى العديد من الأمــاكن فى قرطبة والمرية وبلنسية وشاطبة .

ومع هذه الحياة المفعمة بالفتن والاضطرابات والأحداث والتقلبات خرج ابن حزم على الدنيا بهذه المؤلفات العلمية التى تعلن عن جده وحزمــه وصــبره وتحديــه (الطوق–الفصل–المحلى–الجمهرة–الرسائل) .

أنجز هذا العمل وهو يواجه أعتى العواصف والأعاصير هدفاً لكل ألــوان الحقــد والكراهية والتآمر حيث اضطهده ملوك الطوائف لميله إلى الأمويين وعملــه لهــم واتهمه رجال الدين بالمروق فلم يضعف وبقى جاداً فى كلمته عنيفاً فى مناظرته إذ

عاين الرجل من ألوان الظلم كما يقول الدكتور الطاهر مكى :(مـــا أنضـــب فى أعماله معين الرقة واللين وشاهد من مساءات السياسة ما نفـــره منـــها وأوذى فى نفسه وكرامته فاعتزل الدنيا محاصراً ووحيداً فى قريته يواصل رسالته بنفس القوة التى بدأ بها حياته شاباً واعداً ومناضلاً عنيداً) . [١]

لقد نضجت شخصيته وعملت الأحداث فيه عملها فصـــقلت مواهبـــه وزادتـــه اعتداداً بنفسه .

أورثه كل ذلك حدة وقوة عارضة وتعالياً أدى به إلى تسفيه آراء غيره والوقيعة فى العلماء [٢] والتمرد على الأعراف السائدة بينهم وأصيب الرجل كما يقـــول عـــن نفسه :بعلة شديدة ولدت على ربواً فى الطحال شديداً فولد ذلك علي من الضجر وضيق الخلق وقلة الصبر والنزق أمراً حاسبت نفسي فيه إذ أنكرت تبدل خلقـــى واشتد عجبي من مفارقتى لطبعى وصح عندى أن الطحال موضع الفرح إذا فسد تولد ضده).

وطبيعى أن يبادله العلماء قسوة بقسوة وأن يصل الأمر إلى أن يقاطعوه ويفســـقوه ويؤلبوا الأمراء ضده لا سيما وأن الرجل ظل متمسكاً بشرعية الخلافة الأموية مما أدى به إلى السجن مرات [٣] فقد قبض عليه فى (المرية) لما اشتهر به مـــن الـــولاء للأمويين [٤] وسجن بها حيناً ثم نفى فتوجه إلى حصن القصر ولما علم أن أموياً يدعى

---

[١] دراسات عن ابن حزم ٩٤/٩٣ ط دار المعارف

٢ يراجع كلام شيخنا ابن تميم السابق ذكره

[٣] قلت (أبو محمد المصرى) فى هذا دليل واضح على تمسكه بالنص فهو يقول فى المحلى " وَلاَ تَحِلُّ الْخِلاَفَةُ إلاَّ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ صَلِيبَةً ، مِنْ وَلَدِ فِهْرِ بْنِ مَالِكٍ مِنْ قِبَلِ آبَائِهِ. ، وَلاَ تَحِلُّ لِغَيْرِ بَالِغٍ وَإِنْ كَانَ قُرَشِيًّا ، وَلاَ لِحَلِيفٍ لَهُمْ ، وَلاَ لِمَوْلًى لَهُمْ ، وَلاَ لِمَنْ أُمُّهُ مِنْهُمْ وَأَبُوهُ مِنْ غَيْرِهِمْ :
رُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ : ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لاَ يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْ النَّاسِ اثْنَانِ. "

٤ قال أبو محمد المصرى هذا ليس ولاءا للأمويين وإنما ولاءاً للشرع ونصوصه كما سبق

له فى (بلنسية) وهو عبد الرحمن الرابع الذى لقب بالمرتضى انتقل إليه ليكـــون فى نصرته ولما فشلت حركته اعتقل صاحب غرناطة ان حزم وسجنه حيناً .

وبعد إطلاقه توجه إلى قرطبة سنة ٤٠٩ هـــ لما بويع لعبد الرحمن الخامس الملقب بالمستظهر جعل ابن حزم فى مقدمة المقربين عنده ولكن المستظهر سقط وقام مقامه المستكفى الذى سجن ابن حزم ولم يطلقه إلا سقوط المستكفى وتقوض خلافته [1]

وتكاد تكون الفترة الأخيرة من حياة ابن حزم أخلص الفتـــرات لخدمـــة العلـــم خصوصاً بعد سقوط الخلافة الأموية نهائياً بالأندلس وسيادة عصر الطوائف .

وفيها نشر المذهب الظاهرى ودافع عنه ضد المالكية ولقد مال حيناً إلى المـــذهب الشافعى ثم تحول عنه ويعلل العلماء ذلك بأن ابن حزم فقيه متحرر كره من فقهاء عصره تناقضهم وكثرة تأويلهم ثم ما تورط فيه كثير منهم من ارتكـــابهم لســـيء الأخلاق وقبيح الفعال كل ذلك دفعه إلى الأخذ بظواهر النصوص لأنها شـــئ لا يمكن التلاعب به ولا التأويل فيه .[2]

وظل ابن حزم فى نشر مذهبه بجزيرة (ميورقة) يناظر الفقهاء وعلى رأســـهم أبـــو الوليد الباجى الذى عرف له ابن حزم منزلته وعلمه ومع ذلك لم يهادنه ثم بعـــد ذلك توجه إلى أشبيلية حيث المعتضد بن عباد ولم يصبر على البقاء بها فلم يجد بعد ذلك أهدأ من بلده وموطن أسرته فى إقليم (ليلة) حيث قضى بقية حياته فى التعليم والتأليف بعيداً عن المكائد التى عجزت عن ملاحقته فلاحقت كتبه إذ أحرقهـــا فى أشبيلية المعتضد بن عباد كما سبق .

---

١ الأدب الأندلسي : د أحمد هيكل بتصرف

٢ قال أبو محمد المصرى (لجأ ابن حزم إلى الأخذ بظواهر النصوص لاعتبارات كثيرة أولها أن هذا هو الحق وعمل الرسول والصحابة لأدلة كثيرة ...راجع الإحكام)

وقد أمضى ابن حزم فى قريته سنواته الأخيرة التى بعد فيها عن السياسة مما سهل على طالبي علمه الاتصال به والأخذ عنه (يحدثهم ويفقههم ويدارسهم ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف وافكثار من التصنيف حتى كمل فى مصنفاته فى فنون العلم وقر بعير) .[1]

وبعد هذه الحياه المليئة بالمصاعب والمتاعب لقى ابن حزم ربه فى ليلة الإثنين ٢٨ من شعبان سنة ٤٥٦ هـ بعد عمر يزيد على السبعين عاماً قضاها فى صراع مع الحياة ومع الناس وكأنما رحمه الله كان يرثى نفسه حين قال :

كأنك بالزوار لى قد تبادروا	وقيل لهم أودى على بن أحمد
فيا رب محزون هناك وضاحك	وكم دموع تذرى وخد مخدد
عفا الله عنى يوم أرحل ظاعناً	عن الأهل محمولاً إلى ضيق ملحد
وأترك ما كنت مغتبطاً به	وألقى الذى آنست منه بمرصد
فوا راحتى إن كان زادى مقدما	ويا نصبي إن كنت لم أتزود

ابن حزم أديباً :

لقد كان لابن حزم شهرته المدوية فى الغرب والشرق وكان عالماً موسوعياً إذا تحدث الرجل فى شتى صنوف المعرفة فهو بالفقه أبصر وبالتاريخ أعلم وبالفلسفة ذا دراية (كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم أهل الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار)[2]

[1] ابن حزم الأندلسي / ٨٢
[2] الوفيات (١٤/٣) نشر مكتبة النهضة ت: محيي الدين عبد الحميد/١٩٤٨.

ويقول ابن أبي العماد (كان إليه الذكاء فى حدة الذهن وسعة العلـــم بالكتـــاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والأدب والمنطق والشعر مـــع الصـــدق والديانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة وكثرة الكتب) .

وقال الغزالى : (وجدت فى أسماء الله تعالى كتاباً لأبي محمد بن حزم يدل على عظم جفظه وسيلان ذهنه) .

وقال ابن صاعد فى تاريخه(أخبرني ابنه أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفـــه نحـــو أربعمائة مجلد) قاله فى العبر

وقال ابن العريف (كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين) أ.هـــ مـــا أورده ابن خلكان .

وتكاد كلمة جل المؤرخين الذين أرخوا له تجتمع على ذلك على أن منـــهم مـــن تصدى له مع ذلك بالنقد فلقد قال ابن حيان فى المتين :

(له كتب كثيرة غير أنه لم يخل فيها من غلط وسقط لجراءته فى التســـور علـــى الفنون لا سيما المنطق فإهم زعموا أنه زل هنالك وضل فى تلك المسالك وخالف أرططاليس واضعه مخالفة من لم يعرف غرضه ولا ارتاض فى كتبه مما دعا ابن حزم أن يرد عليه نقده وعيبه فى نسبه فكان مما قال ابن حزم فى ذلك : سمعت وأطعت لقول الله تعالى (وأعرض عن الجاهلين) وأسلمت وانقدت لقـــول نبيـــه–عليـــه السلام– : (صل من قطعك واعف عمن ظلمك) ورضيت بقول الحكماء : كفاك انتصاراً ممن تعرض لأذاك إعراضك عنه) [1]

وعلى الرغم من شهادة المؤرخين له بالشاعرية إلا أنه قد غلب عليه الفقـــه حـــتى صار لا يذكر إلا به حتى الآن .

[1] المغرب فى حلى المغرب :ط٣ دار المعاارف ١-٣٥٤ ، ٣٥٥، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ت:د/شوقى ضيف ترجمة ابن حزم

وقد حظى ابن حزم بجانب من الدراسة الأدبية فى كتب الدارسين يتمثل فى عرض ما كتبه ابن حزم من شعر من أول ذلك وأهمه دراسة د/الطاهر مكى عن كتاب الطوق لابن حزم دراسة مفصلة هى إلى الجانب الفلسفى أميل منها إلى الجانب الأدبي [1] وهى دراسة جيدة إلا أنها لا تتعدى كتاب طوق الحمامة الذى يعرب عن جانب هام من أدب ابن حزم هو الجانب العاطفى الذى محض الكتاب له ، وشعر ابن حزم فى الطوق يكشف بوضوح عن نفسية ابن حزم وأخلاقه وحبه ومعاشرته للنساء وتقواه معهن فهو أحسن ما يكشف بوضوح عن ما خفى فى حياة ابن حزم من كلامه نفسه لذا فهو لا يترك قارئه حائراً إذا أراد أن يتحدث عنه .

كذلك كتب د/أحمد هيكل فصلاً عن ابن حزم ضمن كتابه الأدب الأندلسي أرخ فيه له ولحياته المتقلبة وما تعرض له ولأهم سمات شعره مستشهداً بما فى الطوق وقليل غيره .

وقد وقفت على ما كتبه د/عويس فى كتابه (ابن حزم الأندلسي وجهوده فى البحث التاريخي والحضارى) وهو كتاب يعد مرآة عن ابن حزم تريك جوانب حياته ممثلة فى جهوده العلمية المثلة فيما يخدم الجانب التاريخي والحضارى ولفت نظرى أن الباحث أشار إلى أن لابن حزم ديواناً شعرياً غير الطوق وأن صديقاً له بالسعودية قد هم بتحقيقه إلا أنه لم يفعل [2] ، وفى نفس الوقت عثرت دار الصحابة للتراث على الديوان فقمت على قراءته وسررت بما اشتمل على قصائد ومقطوعات وبدأت تحقيقها وضبطها وشرح ما غمض من مفرداتها وبعد الانتهاء

---

١ دراسات عن ابن حزم مع تحليل كتاب الطوق . ط دار المعارف

٢ قال أبو محمد (لعل الصديق المذكور فى الكلام هو العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى...ويرجى تحقيق ذلك)

منها قررت العودة إلى ما كتب عن أدب ابن حزم فكان ما وجدته عند د/الطاهر مكى داعياً إلى نظر أعمق فى الديوان مرات حتى اســـتطعت أن أســـتخلص مـــن الديوان المكتوب ما يلي :

أ –الديوان كله ليس لابن حزم ةأن أغلب مقطوعاته وقصائده لأبي العلاء المعرى

ب–ما ورد من شعر لابن حزم كالآتى :

١–قصيدة عنوانها فى حدوث العالم ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تقع فى (٨٠) بيتاً

٢–قصيدة فى الرد على التقفور ملك النصارى تقع فى (١٣٧) بيتاً .

٣–قصيدة فى الرد على عذاله تقع فى (١٣) بيتاً .

٤–قصيدة فى مكانة كتب الحديث (٦) أبيات .

٥–قصيدة سينية مليئة بالغريب تقع فى (٤٣) بيتاً.

٦–قصيدة ملك النصارى التى هجا فيها المسلمين (٦٧) بيتاً .

٧–قصيدة تحدث فيها عن تشوقه إلى أهله (٣٨) بيتاً .

٨–قصيدة يمدح فيها صديقه القاضى أبا المطرف ويعاتبه (٥٩) بيتاً .

٩–قصيدة فى الحديث عن النفس عدها (١١) بيتاً .

١٠–قصيدة فى وصف يوم عدها (١١) بيتاً .

١١– قصيدة يتحدث فيها عن لوم الناس له لانشغاله بعلم الحديث وكتبه (٣٢) بيتاً.

١٢–قصيدة بيت مفرد .

ولما كان الديوان غير ذي ترتيب معين ولم يشأ كاتبه إلا الجمع فقط عدلت فى التحقيق بعض الشئ .

ما عدا ذلك مما كتب فى الديوان فكله من شعر أبي العلاء المعرى وقد قمت بمراجعته على ديوان أبي العلاء المحقق بقسميه فوجدته به مع اختلاف يسير كأن يكون ما فى هذا الديوان جزءاً من قصيدة أو بدأه الكاتب ببيت غير البيت الذى بُدئ به فى ديوان أبي العلاء أو وضع فى ترتيب غير الترتيب الذى تجده فى ديوان أبي العلاء ولما كان نشر هذا غير مُجد عدلت عنه حيث إنه لأبي العلاء وليس لابن حزم وقد قمت بمراجعة ذلك على ما نشره د/الطاهر فى كتابه وهو القصائد رقم (٤) نشر منها د/الطاهر أربعة أبيات ، والقصيدة رقم (٥) وقد تشكك فيها د/الطاهر فلم يجزم بنسبتها إلى ابن حزم ودعا من يقرأ القصيدة إلى تحرير ذلك والحق أن ثمة جانباً يرجح أنها من شعر أبي العلاء إذ يوجد بديوانه قصيدة على قافيتها ولكن بمراجعتها عليها وجدت أن ثمة اختلافاً بين القصيدتين مما أبعد الشك فى نسبتها إلى ابن حزم . نشر منها الطاهر (٣٥) بيتاً .

كذلك نشر د/الطاهر القصيدة رقم (٧) ، (٨) ،(٩)،(١٠)،(١١) وكان من محاسن الأقدار عليّ أن قرأت فى تلك الآونة بحثاً وافانا به الزميل الفاضل د/إبراهيم راشد بكلية اللغة العربية بالمنصورة هذا البحث عن شعر ابن حزم بقلم محمد الهادى الطرابلسي كتبه بعد عثوره على نفس نسخة المخطوطة وقد حصر فيها ما كتب من شعر لابن حزم حيث جمع د/إحسان عباس فى كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي عهد سيادة قرطبة) [1] ويصل ما جمعه إلى (٣١٦) بيتاً كما قال كاتب البحث أكثرها مما فى الديوان وقد حقق فى هذا البحث القصائد التالية :

١–رقم (٧) فى خطاب أبي المطرف (٩٥ بيتاً) ثم بيت مفرد وهو :

كأن لم يكن بين ولم يك فرقة **** إذا كان من بعد الفراق تلاق

---

[1] نشر بيروت ط ١٩٦٠/١ من ص ٢٩١-٣٣٣

ثم قصيدة حديثة عن النفس (٢٦بيتاً) ثم قصيدة وصف يوم (١١بيتاً) ثم القصيدة الأخيرة فى الديوان وهى :

لم أشك صداً ولم أذعر بهجران **** ولا شعرت مدى دهر بسلوان

وعدها عنده (٣٢بيتاً) فالمجموع أربع قصائد تحتل الصفحات مـــن ١٦٤ حـــتى ١٧٦ من المجلة المنشور بها البحث وهى مجلة تونسية [1] ومجموع أبيات القصـــائد موضح بها ونسبتها إلى أبحرها . والباحث لم يشر إلى أن جميع ما حققه د.الطـــاهر مكى فى كتابه المشار إليه سابقاً ولا أظن أنه اطلع عليه كما لم أطلع إلى الآن على كتاب د.إحسان عباس وأظن أن فيه من الفوائد الكثير إذ أن الرجل توفر علـــى الكتابة فى الأدب الأندلسي فهو مرجع هام فيه .

وقد أشار الباحث التونسي إلى أن ما فى الطوق من شعر ابن حزم لا صلة له بما فى الديوان والأمر كذلك حقاً فقد راجعت الطوق ولم أجد شيئاً منه بالـــديوان ولا العكس وتختلف روح القصيد فى كل منهما عن الآخر ، كذلك بين الباحث أن ما ينشر من شعر مخطوط لابن حزم يساعد فى إثارة الطرق للحكم علـــى شـــاعريته فقال : (إن القطعة التى نحققها اليوم من شعر ابن حزم تساهم بقســـط كـــبير فى إلقاء أضواء هامة على حياة الشاعر أولاً وعلى شخصيته ثانياً وعلى آثاره خاصة وعلى الشعر العربي بالندلس إذ ذاك عامة فأكثرها يصور لنا بجلاء عنف الأزمـــة النفسية التى كان يعانيها الشاعر وهو على عتبة الكهولة من جراء تألب الأعـــداء عليه وتقدم لنا ألواناً مختلفة من العذاب الذى كان يلقاه الشاعر فى جهاده فى سبيل الله وتوضح لنا كذلك بعض مقومات شخصيته فترينا الشاعر على جانب كبير من

---

١ حوليات الجامعة التونسية-مجلة للبحث العلمى تصدرها الجامعة التونسية-العدد التاسع ١٩٧٢

حدة النفس ورقة الشعور وتوضح الإخلاص الذى كان يكنه الشـاعر لعقيدتـه ومذهبه وأصدقائه كذلك) [1]

وحتى تظهر هذه الملامح كاملة أضفت إلى شعر ابن حزم فى هذا الديوان ما نسب إليه من شعر آخر فى مصادر التاريخ والأدب والتراجم وأمهات الشعر الأندلسي كنفح الطيب والجذوة والبغية وراجعت ما كتب عنه فى معجم الأدباء والوفيـات والنهاية وغيرها حتى عثرت على كم من شعره يساعد فى إلقـاء الضـوء علـى شاعرية ابن حزم إذ أن جمعه فى مرجع واحد يهون على الدارسين مشقة البحـث ويساعدهم فى إصدار حكم نتيجة إستقراء يقرب من الشمول .

ويضيف ما كتبه ابن حزم فى الرد على التقفور ملك النصارى بعـداً عظيمـاً فى الحكم على الرجل ومنهجه فى كتابة التاريخ شعراً ومدى علمه بـأحوال الأمـم وأخبار أهل الديانات .

لقد تمثل فى شعر ابن حزم عدة سمات :

منها سمات نفسية وأخرى ثقافية وتاريخية فهو رجل معتد بنفسه واثق برأيه مدافع عنه وهو غزير المعرفة واسع الثقافة على علم بالتاريخ وله فيه با ع طويل .

ولقد تمثل كل ذلك فى شعره الذى يدخل به مع الأدباء والشعراء مـن أوسـع الأبواب فلم يكن ابن حزم عالماً مبرزاً فقط وإنما كان أديباً شاعراً ونـاثراً أيضـاً قادته طبيعته الجريئة أن يتحدث بصراحة حتى فى مواضيع لم يجرؤ غيره من الفقهاء على الحديث فيها .

---

[1] ص ١٦٣ من المجلة المنشور بها البحث

فعاطفة الحب مثلاً يفرد لها كتاباً مستقلاً هو كتاب (طوق الحمامة) يتحدث فيه عن الحب كعاطفة إنسانية معتمداً فى حديثه هذا على التجربة والملاحظة والتحليل النفسي واستخلاص النتائج .

إن تلك الطبيعة الجريئة جعلته يقول ما يعتقد ويعبر عما يحس دون نفاق أو إلتواء أو خوف من الناقدين فهو أصرح من تكلم فى هذا الجانب . وساعد فى ذلك أيضاً تلك التى أتاحت له أن يتحدث عن الحب هذا الحديث فقد نشأ مرفهاً فى بيت وزارة وسط النساء يطلع عليهن ويسمع أحاديثهن ويعرف منهن ما لا يعرف غيره فعاش هذه العاطفة بنفسه وسجلها على غيره .

وهجرة ابن حزم من مكان إلى آخر وتنقله وتعرضه للأذى جعله كثير التحنان بصيراً بالأسباب والأغراض وكل ذلك جعل حديثه فى الطوق ذا لون وطعم متميز فهو حديث محلل يعلل الأحداث ويحددها ويؤكدها بما شاهد من وقائع يعدل السلوك ويبذل النصائح فهو لا تتعداه ثقافته الدينية فى كثير مما يكتب ولذلك عقد فى هذا الكتاب باباً عن الكلام فى قبح المعصية وفضل التعفف ليكون خاتمة الكلام الحض على طاعة الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

يقول الدكتور أحمد هيكل (كان ابن حزم لا يكلف بالصنعة ويؤثر البساطة على التكلف والدقة على الحلية تنعكس على أسلوبه ثقافته العقلية والدينية فيورد بعض مصطلحات الفلسفة والمنطق ويهتم بالعلل والمقدمات والنتائج كما يورد بعض المصطلحات الفقهية أو الدينية على وجه العلوم) .[1]

وجرأة ابن حزم فى سبيل الله جعلت منه لساناً مدافعاً وسيفاً مسلولاً على أعداء الدين والمنافقين والمتاجرين به ويمثل ذلك حديثه فى الرد على التقفور ملك

---

١ الأدب الندلسي/٤٠٠ : د٣ أحمد هيكل ط دار المعارف /٧

النصارى وعتابه لصديقه (أبو المطرف) ولابن عمه وحديثه عن مذهبه وافتخاره به وعلمه وتضلعه فيه

أنا الشمس فى جو العلوم منيرة ****** ولكن عيبي أن مطلعى الغرب

ويقول :

وما عزتى والحمد لله مطلب ***** من العلم مما أبقت العرب والعجم

بعض السمات البلاغية فى شعر ابن حزم

لا تظن أنك أمام شاعر فقيه بل أنت أمام فقيه أديب سَهُل لفظُه وحَسُــنَ وجَــاد معناه

لقد خلا شعر ابن حزم من التعقيد الذى يهلك المعنى ومن الغرابة الــتى تــوحش اللفظ ومن الإبهام الذى لا يوصل إلى المراد والقارئ العادى يستطيع الوصول إلى ما يكتبه ابن حزم لا لأنه تافه لا يعبأ به ولكن لصراحة الرجل فى التعبير ووضوح المراد وامتلاكه للمعنى الذى يريد الحديث عنه ترى ذلك فى طوق الحمامة وفى هذا القدر الذى جمعناه له .

ونظراً لأن أغلب الشعر الأندلسي مقطوعات قصيرة تأتى تبعاً لمناسبات معينة وقد اتسعت هذه المناسبات حتى تمثل فيها أهم نواحى الحياة لذا بعدت هذه المقطوعات عن المعاناة والمعوقات التى تعوق شاعر القصيدة .

كذلك ترى فى هذا الشعر كثيراً من المعانى المشرقية تنقل كما هى أحياناً وقد يجدد فيها الشاعر .

وقد حرصوا على سهولة الألفاظ ووضوحها ورشاقة الأساليب وسماحتها حتى فى الأغراض التى تقتضى بطبيعتها القوة والرصانة كالهجاء حيث يعتمدون فيه على

التهكم والسخرية لا على اللفظ الجارح والكلمة الصاخبة ..انظر إلى قول ابن حزم لمن سبه :

تبغ سواى امرأ يبتغى | سبابك إن هواك السباب
فإنى أبيت طلاب السفاه | وضنت محلى عما يعاب
وقل ما بدا لك من بعد ذا | فإن سكوتى عنه خطاب

يتمثل فى ذلك الأدب الإسلامى حيث أمر الشرع بالإعراض عن الجاهلين والصبر على الأذى :

وإنى وإن آذيتنى وعققتنى | لمحتمل ما جاءنى منك صابر

وابن حزم قوى الاستدلال جيد الاحتجاج والبرهنة على ما يقول فهو يتحدث عن الاجتماع والفرقة ثم يأتى بالعلة التى تقوى أمر الاجتماع بالأجساد وهى مزيد الاطمئنان واستأنس لذلك بطلب الخليل إبراهيم عليه السلام من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى (قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) .

لئن أصبحت مرتحلاً بجسمي | فروحى عندكم أبداً مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى | لذا سأل المعاينة الخليل

وهو يتأثر بجمال الظاهر فإن لامه أحد على ذلك أنشأ يقول :

وذى عذل فيمن سبانى حسنه | يطيل ملامى فى الوجوه ويقول
أفى حسن وجه لا لم تر غيره | ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل
فقلت له أسرفت فى اللوم ظالماً | وعندى رد لو أشاء طويل
ألم تر أنى ظاهرى وأننى | على ما بدا حتى يقوم دليل

فهو ظاهرى المذهب لذلك أخذ فى هذا الذى سماه بالظاهر ولم يقبل لوم العـــذول فيه وهذا من حسن التعليل حيث أتى الشاعر بعلة مقبولة ومستحسنة تؤكد مــا يقول وتبرهن على صحته .

وهو يجانس فى شعره لكن جناسه مقبول ويقابل بين معانيه مقابلة غير متكلفة وهذا قليل فى شعره :

أقمنا ساعة ثم ارتحلنا وما يغنى المشوق وقوف ساعة

كأن الشمل لم يك ذا اجتماع إذا ما شتت البين اجتماعه

ويقول :

إن كانت الأبدان بائنة فنفوس أهل الظرف تأتلف

يا رب مؤتلفين قد جمعت قلبيهما الأقلام والصحف

وهذا قريب من معنى قوله صلى الله عليه وسلم (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها اختلف) فكأنه رضى الله عنه ضمنه هذا البيت .

وهو يضع النظير بجانب نظيره فيقول :

لم أشك صداً ولم أذعر بهجران ولا شعرت مدى دهرى بسلوان

ففى البيت جمع بين الصد والهجران والسلوان والشكوى والذعر والشعور بالحزن وكل ذلك فى غير تكلف .

والشاعر وإن كان قليل التصوير إلا أن صوره محكمة وتشبيهاته قوية موثقة إنظر إليه عندما يتحدث عن حبيب كان فى حمايته له درعاً سابغة ترد عنه عاديات الزمن وفواجعه لقد كان نوراً له عندما تظلم الحياة فى وجهه فلما نأى وبعد وتولى ورحل تبدلت الحال وهذه سنة الحياة :

قد كنت ألقى زمانى منه مدرعا على تغول أيامي وأزمانى

درعا يقول الردى من اجلها حذرا ما شأنك اليوم باهذا وما شاني
فالآن أظلمت الدنيا لغيبته فالليل عندي وغير الليل سيان
وحق لي ذاك إذ في كل رشاقة كانت تلوح لعيني منه شمسان
فالآن أعدمني أضواهما قدر تجري بأحكامه فينا الجديدان

ولكنه رغم بعده عن عينه يحل قلبه ، فهو غائب حاضر ، بعيد قريب :

قد كان منك فؤادي حاسدا بصري والآن يحسد فيك القلب عينان

فإنك ترى فى هذا الشعر : تغول الأيام والحبيب المصادق كالزرع حماية وكالشمس نوراً حتى أنه لقربه منه كان الفؤاد يحسد البصر لتمتعه بالنظر إليه ولما تبدلت الحال وحل بالقلب ونأى عن العين صارت العين تحسد القلب وكيف لا فهو الدنيا يملكها ملك سليمان لها :

حتى لقد صار دهرى فيك يحسدنى فبان عنى مغلوباً وأنآني
عذرت فيك لعمرى كل ذى حسد من ليس يحسد فى دنيا سليمان

ومحن الشاعر التى تعرض لها كثيرة فهذا يوم كحد السيف وهذه أمور كأمواج البحر وقد أعد لذلك جلداً وحزماً كالجسور وآراء المصابيح .

ويوم كحد السيف ليس بثابت عليه جليد لا ولا متجلد

لقيت شباه وهو جمر مؤجج وأقلعت عنه وهو فخر مخلد
أمور كأمواج البحور تصادمت عليهن سربال من الليل أكبد
عبأت له جسداً من الحزم محكماً ومصباحاً رأى نوره يتوقد
فأنقذت غرقاها ونورت ليلها وقربت منها كل ما كان يبعد

وهو مهتد فى تصوير تلك الأمور بتصوير القرآن لأعمال الكفار بأنها (كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات لعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

وهو يكرر معنى اعتزازه برأيه وعلمه وأنهما الدرع الذى يقيه تقلبات الزمن ويفخر بهذا أيما فخر:

لكن إذا أشكلت دنيا معضلة قابلتها بسنى ذهنى وحسبك بي

من فكرتى لى عين لا تغيض ومن ماضى لسانى مضى الشهب

فانظر إلى قوله (وحسبك بي) وتشبيه فكره بالعين الفياضة وحديث لسانه بأنه ذائع مشتهر ذيوع الشهب وشهرتها ورغم أنه كرر فى (ماضى–يمضى مضى) فى شطر واحد إلا أنك لا تشعر بثقل ولا تحس بتنافر ذلك أنه غاير بين الكلمات فأكسبها خفة على اللسان وحسن وقع على الآذان .

ولا ينسى دائماً أثناء اعتزازه وفخره بنفسه فقره إلى ربه وخوفه من لقائه :

فإن أضفت إلى ذا الحظ من عملى شيئاً أفوز به فى يوم منقلب

فقد حصلت على الآمال أجمعها وخاب من فى سوى ذا كان ذا تعبي

وأنت واجد بقراءتك لقصيدته التى يخاطب فيها صديقه (أبا المطرف) حديثه عن علمه بالشعر والتاريخ والفلسفة والديانات والحديث والفقه والكلام واللغات والعروض والبلاغة .

وما عزنى والحمد لله مطلب من العلم مما أبقت العجم والعرب

لذا يعاتب أبا المطرف فى سماعه عنه قائلاً :

أعيذك أن ترتاب أننى الذى أتى سابقاً والكل ينجر أو يحبو

ومثلى إذا جد الرجال وأتعبوا نفوسهم سعياً وكدهم الخطب
تقدم سبقاً ثانياً من عنانه وغادر من جاراه فى ركبه يكبو

هذا ما أردنا أن نضعه أمام قارئ هذا الشعر الذى جمعناه لابن حزم الفقيه الأديب العالم الذى ساعدته التربية فى الصغر وحفظ الشعر الجيد لمشاهير الشعراء على تهذيب ملكته ناهيك عن تربية والده الذى كان أديباً بليغاً [١]

يقول محمد الهادى الطرابلسي فى بحثه ص ١٥٣ (ويذكر الدارسون أن ابن حزم كان شاعراً قديراً ويذكرون أن له ديواناً شعرياً كتبه فى صباه وأن له أشعاراً تضمنتها رسالة طوق الحمامة على أن الذى بلغنا من شعر ابن حزم إلى الآن ورد مشتتاً فى المصادر هكذا :

ورد نحو ٧٠٠ بيت من الشعر فى طوق الحمامة ، ١٢ بيتاً فى كتاب الأخلاق والسير ، ، ٤٨ بيتاً فى كتب التراجم ، ٣١٦ بيتاً نشرها إحسان عباس فى كتابه (الأدب الأندلسي عهد سيادة قرطبة) فيكون قد وصلنا فى الجملة إلى حد الآن نحو ١٠٦٧ بيتاً من الشعر لابن حزم من شعر ليس إلا جزءاً من ديوان لابن حزم بالمكتبة التيمورية بالقاهرة وقد ساعدنا الحظ بأن نظفر بصورة من هذا الديوان المنسوب لابن حزم) أ.هـ

وقد راعيت تمام الفائدة فجمعت ما وجد فى الديوان لابن حزم وتركت ما كان للمعرى . وجمعت ما وجدت له من شعر فى كتب التراجم وكتبه ورسائله

---

١ ذكر الحميدي أن والده كان من أهل العلم والأدب والخير وله فى البلاغة يد قوية قال : قال أبو محمد وأنشدنى أبي فى بعض وصاياه لى :
إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها
الصلة لابن بشكوال ١/٢٥ .

وصدرت هذا المجموع بما فى الديوان ثم ثنيت بما عثرت عليه من شعر لابن حـــزم عسى الله أن ينفع بذلك .

وصف المخطوط

النسخة التى صورناها من دار الكتب صورت على نسخة مصورة خطها واضح فى بعض اللوحات غير واضح فى البعض الآخر .

عدد صفحاهًا ١٤٢ موزعة على ٧١ لوحة كل لوحة تتضمن صفحتين على الصفحة الأولى يوجد بالخط الكبير حمد لله وتصلية وتحتها كتب (ديوان ابن حزم) ثم طابع دار الكتب كتب به هذه العبارة (مطبعة دار الكتب المصرية قسم التصوير ١٩٤٦)

والصفحة الثانية بيضاء لا توجد بها كتابة يلي ذلك اللوحة المصورة الثانية مصدرة بهذه العبارة : (باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم قال الفقيه ثم تتوالى الأشعار بعد ذلك مبتدئة بقصيدة فى حدوث العالم ونبوة سيدنا محمد) :

لك الحمد يا رب والشكر تم   لك الحمد ما نطق بالشكر فم

ثم تتوالى صفحات الديوان بها بعض التصحيحات القليلة حتى ينتهى باللوحة رقم (٧٠) التى كتب بآخر الصفحة الثانية لها هذه العبارة (الحمـــد لله رب العـــالمين وصلاته على محمد عبده ورسوله وعلى آله وعترته الطاهرة) ثم بعد ذلك الصفحة الأولى من اللوحة (٧١) وبها خاتم دائرى كتابته (فيض الفاتح القـــدوس الســـيد محمد بن السيد على بن السنوسي سنة ١٣١٥ هـــ) وبجانبه كتب : تملكه الفقير إلى ربه مصطفى بن تاج الدين بن إلياس مفتى المدينة المنورة سنة ١٢٥١ هـــ. ثم نجد فى الصفحة الثانية طابعاً آخر لدار الكتب المصرية يتضمن نفس العبارة السابقة

وهذا الديوان ليس مرتباً وليست قصائده معنونة .

بأعلى صفحة ٢٦ لوحة ١٢ نجد هذه العبارة (وقال أيضاً رضى الله عنه هذا من شعر المعرى ليس هو لابن حزم) وكل ما سبق هذه اللوحة هو لابن حزم .

وقد آثرنا كتابة ما وجدناه بالديوان محققة أما ما وجدناه منسوباً للمعرى بديوانه فتركناه . وهذا أول عمل لنا .

ثانياً : فضلنا كتابة القصائد حسب القافية حتى يسهل البحث عنها .

ثالثاً : آثرنا كتابة قصيدة التقفور قبل رد ابن حزم عليها حتى يسهل على القارئ قراءة وفهم ما كتب ابن حزم .

رابعاً : راجعنا هذه القصائد على تحقيقات الطاهر مكى ومحمد الهادى الطرابلسي وأثبتنا ما انتفعنا به منهما فى مكانه .

خامساً : إتماماً للفائدة وحتى يكون هناك قدر كبير من شعر ابن حزم أمام القارئ جمعنا ما استطعنا جمعه من المصادر التى أشرنا إليها .

وبقيت كلمة هى : لم جمع فى هذا المخطوط شعر ابن حزم والمعرى معاً ؟

والجواب عن هذا ذكره الطاهر مكى حيث رجح أن يكون جامع الشعر أطلق اسم ابن حزم على ما جمعه قصداً لرواجه وأن ذلك كان من عادة الكتاب ... أيضاً لفت الناسخ الأنظار إلى هذا فى ص ٢٦ .

وذكر محمد الهادى الطرابلسي : (أن الخلط بين شعرى هذين العلمين ربما وقع لهذه الأسباب :

١-تقارب مجموعة هذه الأشعار فى الغرض وحلوها من الأغراض التقليدية الأخرى المعروفة كالغزل والمدح والهجاء .

٢–نزعة كل من المعرى وابن حزم – خاصة فى كهولتهما– إلى طرق مثل هذه الأغراض فقد اتفقا فى النظر إلى الدنيا بنفس المنظار وكلاهما انتهى من تجربة الدنيا صغيراً إلى ضرورة الصد عنها والعمل على مناهضتها وإن هما اختلفا فى طريقة الصد .

٣– عيشهما فى نفس الفترة وإن كانا فى بيئات مختلفة ١

ثم قال : ومع ذلك كله فالقارئ لهذا الديوان يمكنه أن يستخلص ما كان منه لابن حزم لأسباب :

١–أن اسم المعرى ذكره الناسخ مرة كما سبق.

٢–أن روح المعرى غير واضحة فيما نسب لابن حزم .

٣–أن جل هذه الأشعار التى وجدت للمعرى تدور حول موضوعات ما وراء المادة وهذه الموضوعات كانت مصدر إلهام أبي العلاء ، أضف إلى ذلك أننا لم نجد بيتاً واحداً من الأبيات التى حققناها لابن حزم فى ديوان أبي العلاء (اللزوميات) الذى وجد به كل ما وجدناه له من شعره وبذلك يطمئن الخاطر إلى أن ما يقرأ فى هذا المجموع والمحقق هو لابن حزم . وأنه يوقفنا على كثير مما لا نعلمه عنه من طوق الحمامة كسياسته وعلمه وسجنه وصداقته وكتابته فى الرد على التقفور ورؤيته للحياه وموقفه من الحساد وذم من لم يسلك سبيل الحق والإنصاف .

وهو فى شعره متأثر بأحداث الفتنة تأثراً واضحاً حيث عاش فى ظلها وانتشر أدب التلهى والنفاق والتفاهة على حين كانت خيراً على أدب التأمل والتذكر والنقد . كما يوقفنا على بعض الجوانب العاطفية فيه أيضاً .

---

١ بحثه ص ١٥٦

الفريدة الإسلامية فى الرد على الأرمنية [1]

قال ابن كثير فى البداية والنهاية (كان اللعين النقفور الملقب الدمستق ملك الأرمن كان قد أرسل قصيدة إلى الخليفة المطيع لله نظمها له بعض كتابه ممن كان قد خذله الله وأذله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وصرفه عن الإسلام وأصله يفتخر فيها بهذا اللعين ويتعرض لسب الاسلام والمسلمين ويتوعد فيها أهل حوزة الإسلام بأنه سيملكها كلها حتى الحرمين الشريفين عما قريب من الأعوام وهو أقل وأذل وأخس وأضل من الأنعام ويزعم أنه ينتصر لدين المسيح ابن البتول عليه السلام وربما يعرض فيها بجناب الرسول عليه من ربه التحية والإكرام ودوام الصلاة مدى الأيام ولم يبلغني عن أحد من أهل ذلك العصر أنه رد عليه جوابه إما لأنها لم تشتهر وإما لأنه أقل من أن يردوا خطابه لأنه كالمعاند الجاحد ونفس ناظمها تدل على أنه شيطان مارد وقد انتحى للجواب عنها بعد ذلك أبو محمد بن حزم الظاهري فأفاد وأجاد وأجاب عن كل فصل باطل بالصواب والسداد فبل الله بالرحمه ثراه وجعل الجنة متقلبه ومثواه وها أنا أذكر القصيدة الأرمنية المخذولة الملعونة وأتبعها بالفريدة الإسلامية المنصورة الميمونة قال المرتد الكافر الأرمني على لسان ملكه لعنهما الله وأهل ملتهم أجمعين آمين يارب العالمين .

....

ذكر ابن كثير القصيدة الملعونة ونعف عن ذكرها لأنها فى مزبلة التاريخ إلى يوم يبعثون ١...

---

[1] تلك التسمية أخذناها من فهرس البداية والنهاية لابن كثير الذى نقل هذه القصيدة والقصيدة الأرمنية من خط ابن عساكر وقد نقلوها من كتاب (صلة الصلة للفرغانى) وقال (وها أنا أذكر القصيدة الأرمنية المخذولة الملعونة وأتبها بالفريدة الاسلامية المنصورة الميمونة)

ثم قال ابن كثير رحمه الله ورضى عنه : هذا آخرها لعن الله ناظمها وأسكنه النار يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ويوم يدعو ناظمها ثبورا ويصلى نارا سعيرا يوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر به إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا ....إن كان مات كافرا وهذا جوابها لأبي محمد بن حزم الفقيه الظاهري الأندلسي قالها ارتجالا حين بلغته هذه الملعونة غضبا لله ولرسوله ولدينه كما ذكر ذلك من رآه فرحمه الله وأكرم مثواه وغفر له خطاياه.

من المحتمي بالله رب العوالم	ودين رسول الله من آل هاشم
محمد الهادي إلى الله بالتقى	وبالرشد والإسلام أفضل قائم
عليه من الله السلام مرددا	إلى أن يوافي الحشر كل العوالم
إلى قائل بالإفك جهلا وضلة	عن النقفور المفتري في الأعاجم
دعوت إماما ليس من أمرائه	بكفيه إلا كالرسوم الطواسم
دهته الدواهي في خلافته كما	دهت قبله الأملاك دهم الدواهم
ولا عجب من نكبة أو ملمة	تصيب الكريم الجدود الأكارم
ولو أنه في حال ماضي جدوده	لجرعتم منه سموم الأراقم
عسى عطفة لله في اهل دينه	تجدد منه دارسات المعالم
فخررتم بما لو كان فيكم حقيقة	لكان بفضل الله أحكم حاكم
إذن لاعترتكم خجلة عند ذكره	وأخرس منكم كل فاه مخاصم
سلبناكم كرا ففزتم بغرة	من الكر أفعال الضعاف العزائم

---

١ قال أبو محمد المصرى ...رأيت حذف القصيدة الملعونة لقول الإمام ابن حزم فى كتابه جامع الإيصال (ولا تحل رواية شعر هجي به النبي صلى الله عليه وسلم، وما يستجيز ذلك مسلم، ولا يحل رواية شعر فيه قذف مسلم أو مسلمة، ونستحب رواية شعر حسان وكعب وعبد الله بن رواحة وأمية بن الصلت، وكل شعر فيه حكمة) أ.هـ كلامه رحمه الله وأثابه الجنة ..

فطرتم سرورا عند ذاك ونسوة كفعل المهين الناقص المتعالم

وما ذاك إلا في تضاعيف عقله عريقا وصرف الدهر جم الملاحم

ولما تنازعنا الأمور تخاذلا ودانت لأهل الجهل دولة ظالم

وقد شعلت فينا الخلائف فتنة لعبدانهم مع تركهم والدلائم

بكفر أياديهم وجحد حقوقهم بمن رفعوه من حضيض البهائم

وثبتم على أطرافنا عند ذاكم وثوب لصوص عند غفلة نائم

ألم تنتزع منكم بأعظم قوة جميع بلاد الشام ضربة لازم

ومصرا وأرض القيروان بأسرها وأندلسا قسرا بضرب الجماجم

ألم ننتزع منكم على ضعف حالنا صقلية في بحرها المتلاطم

مشاهد تقديساتكم وبيوتها لنا وبأيدينا على رغم راغم

أما بيت لحم والقمامة بعدها بأيدي رجال المسلمين الأعاظم

وسر كيسكم قسرا برغم أنوفكم وكرسى قسطنطينية في المعادم

ولا بد من عود الجميع بأسره إلينا بعز قاهر متعاظم

أليس يزيد حل وسط دياركم على باب قسطنطينية بالصورام

ومسلمة قد داسها بعد ذاكم بجيش همام قد دوى بالضراغم

وأخدمكم بالذل مسجدنا الذي بنى فيكم في عصره المتقادم

إلى جنب قصرالملك من دار ملككم ألا هذه حق صرامة صارم

وأذى لهارون الرشد مليككم رفادة مغلوب وجزية غارم

سلبناكم مصرا شهود بقوة حبانا بها الرحمن أرحم راحم

إلى بيت يعقوب وأرباب دومة إلى لجة البحر المحيط المحاوم

فهل سرتم في أرضنا قط جمعة أبى الله ذا كم يا بقايا الهزائم

فما لكم إلا الأماني وحدها بضائع نوكى تلك أحلام نائم
رويدا بعد نحو الخلافة نورها وسفر مغير وجوه الهواشم
وحينئذ تدرون كيف قراركم إذا صدمتكم خيل جيش مصادم
على سالف العادات منا ومنكم ليالي بهم في عداد الغنائم
سبيتم سبايا يحصر العدو دونها وسبيكم فينا كقطر الغمائم
فلو رام خلق عدها رام معجزا وأنى بتعداد لرش الحمائم
بأبنا بني حمدان وكافور صلتم أراذل أنجاس قصار المعاصم
دعي وحجام سطوتم عليهما وما قدر مصاص دماء المحاجم
فهلا على دميانة قبل ذاك أو على محل أربا رماة الضراغم
ليالي قادوكم كما اقتادكم أقيال جرجان بحز الحلاقم
وساقوا على رسل بنات ملوككم سبايا كما سيقت ظباء الصرائم
ولكن سلوا عنا هرقلا ومن خلى لكم من ملوك مكرمين قماقم
يخبركم عنا التنوخ وقيصر وكم قد سبينا من نساء كرائم
وعما فتحنا من منيع بلادكم وعما أقمنا فيكم من مآتم
ودع كل نذل مفتر لا تعده إماما ولا الدعوى له بالتقادم
فهيهات سامرا وتكريت منكم إلى جبل تلكم أماني هائم
منى يتمناها الضعيف ودونها نظائرها وحز الغلاصم
تريدون بغداد سوقا جديدة مسيرة شهر للفنيق القواصم
محلة أهل الزهد والعلم والتقى ومنزلة يختارها كل عالم
دعوا الرملة الصهباء عنكم فدونها من المسلمين الغر كل مقاوم
ودون دمشق جمع جيش كأنه سحائب طير ينتحي بالقوادم

وضرب يلقي الكفر كل مذلة كما ضرب السكي بيض الدراهم

ومن دون أكناف الحجاز جحافل كقطر الغيوم الهائلات السواحم

بها من بني عدنان كل سميدع ومن حي قحطان كرام العمائم

ولو قد لقيتم من قضاعة كبة لقيتم ضراما في يبيس الهشائم

إذا أصبحوكم ذكروكم بما خلا لهم معكم من صادق متلاحم

زمان يقودون الصوافن نحوكم فجئتم ضمانا أنكم في الغنائم

سيأتيكم منهم قريبا عصائب تنسيكم تذكار أخذ العواصم

وأموالكم حل لهم ودماؤكم بها يشتفي حر الصدور الحوايم

وأرضيكم حقا سيقتسمونها كما فعلوا دهرا بعدل المقاسم

ولو طرقتكم من خراسان عصبة وشيراز والري الملاح القوائم

لما كان منكم عند ذلك غيرما عهدنا لكم ذل وعض الأباهم

فقد طالما زاروكم في دياركم مسيرة عام بالخيول الصوادم

فأما سجستان وكرمان بال أولى وكابل حلوان بلاد المراهم

وفي فارس والسوس جمع عرمرم وفي أصبهان كل أروع عارم

فلوا قد أتاكم جمعهم لغدوتم فرائس كالآساد فوق البهائم

وبالبصرة الغراء والكوفة التي سمت وبآدي واسط بالعظائم

جموع تسامى الرمل عدا وكثرة فما أحد عادوه منه بسالم

ومن دون بيت الله في مكة التي حباها بمجد للبرايا مراحم

محل جميع الأرض منها تيقنا محلة سفل الخف من فص خاتم

دفاع من الرحمن عنها بحقها فما هو عنها رد طرف برائم

بها وقع الأحبوش هلكى وفيلهم بحصباء طير في ذرى الجو حائم

وجمع كجمع البحر ماض عرمرم حمى بنية البطحاء ذات المحارم

ومن دون قبر المصطفى وسط طيبة جموع كمسود من الليل فاحم

يقودهم جيش الملائكة العلى دفاعا ودفعا عن مصل وصائم

فلو قد لقيناكم لعدتم رمائما كما فرق الإعصار عظم البهائم

وباليمن الممنوع فتيان غارة إذا ما لقوكم كنتم كالمطاعم

وفي جانبي أرض اليمامة عصبة معاذر أمجاد طوال البراجم

نستفينكم والقرمطيين دولة تقووا يميمون التقية حازم

خليفة حق ينصر الدين حكمه ولا يتقي في الله لومة لائم

إلى ولد العباس تنمي جدوده بفخر عميم مزبد الموج ناعم

ملوك جرى بالنصر طائر سعدهم فاهلا بماضي منهم وبقادم

محلهم في مسجد القدس أولدى منازل بغداد محل المكارم

وإن كان من عليا عدي وتيمها ومن أسد هذا الصلاح الحضارم

فاهلا وسهلا ثم نعمى ومرحبا بهم من خيار سالفين أقادم

هم نصروا الإسلام نصرا مؤزرا وهم فتحوا البلدان فتح المراغم

رويدا فوعد الله بالصدق وارد بتجريع أهل الكفر طعم العلاقم

سنفتح قسطنطينية وذواتها ونجعلكم فوق النسور القعاشم

ونفتح أرض الصين والهند عنوة بجيش لأرض الترك والخزر حاطم

مواعيد للرحمن فينا صحيحة وليست كآمال العقول السواقم

ونملك أقصى أرضكم وبلادكم ونلزمكم ذل الحر أو الغارم

إلى أن ترى الإسلام قد عم حكمه جميع الأراضي بالجيوش الصوارم

أتقرن يا مخذول دينا مثلثا بعيدا عن المعقول بادي المآثم

تدين لمخلوق يدين لغيره فيا لك سحقا ليس يخفي لعالم

أنا جيلكم مصنوعة قد تشابهت كلام الأولى فيها أتوا بالعظائم

وعود صليب ما تزالون سجدا له يا عقول الهاملات السوائم

تدينون تضلالا بصلب إلهكم بأيدي يهود أرذلين لآئم

إلى ملة الإسلام توحيد ربنا فما دين ذي دين لها بمقاوم

وصدق رسالات الذي جاء بالهدى محمد الآتي برفع المظالم

وأذ عنت الأملاك طوعا لدينه ببرهان صدق طاهر في المواسم

كما دان في صنعاء مالك دولة وأهل عمان حيث رهط الجهاضم

وسائر أملاك اليمانين أسلموا ومن بلد البحرين قوم اللهازم

أجابوا لدين الله لا من مخافة ولا رغبة يحظى بها كف عادم

فحلوا عرى التيجان طوعا ورغبة بحق يقين بالبراهين فاحم

وحاباه بالنصر المكين إلهه وصير من عاداه تحت المناسم

فقير وحيد لم تعنه عشيرة ولا دفعوا عنه شتيمة شاتم

ولا عنده مال عتيد لناصر ولا دفع مرهوب ولا لمسالم

ولا وعد الأنصار مالا يخصم بلى كان معصوما لأقدر عاصم

ولم تنهنهه قط قوة آسر ولا مكنت من جسمه يد ظالم

كما يفتري إفكا وزورا وضلة على وجهه عيسى منكم كل لاطم

على أنكم قد قلتموا هو ربكم في الضلال في القيامة عائم

أبي لله أن يدعى له ابن صاحب ستلقى دعاة الكفر حالة نادم

ولكنه عبد نبي رسول مكرم من الناس مخلوق ولا قول زاعم

أيلطم وجه الرب تبا لدينكم لقد فقتم في قولكم كل ظالم

وكم آية أبدى النبي محمد وكم علم أبداه للشرك حاطم

تساوي جميع الناس في نصر حقه بل لكل في إعطائه حال خادم

فعرب وأحبوش وفرس وبربر وكرديهم قد فاز قدح المراحم

وقبط وأنباط وخزر وديلم وروم رموكم دونه بالقواصم

أبوا كفر أسلاف لهم فتمنعوا فآبوا بحظ في السعادة لازم

به دخلوا في ملة الحق كلهم ودانوا لأحكام الإله اللوازم

به صح تفسير المنام الذي أتى به دانيال قبله حتم حاتم

وهند وسند أسلموا وتدينوا بدين الهدى رفض لدين الأعاجم

وشق له بدر السموات آية وأشبع من صاع له كل طاعم

وسالت عيون الماء في وسط كفه فأروى به جيشا كثيرا هماهم

وجاء بما تقضي العقول بصدقه ولا كدعاء غير ذات قوائم

عليه سلام الله ماذر شارق تعقبه ظلماء أسحم قاتم

براهينه كالشمس لا مثل قولكم وتخليطكم في جوهر وأقانم

لنا كل علم من قديم ومحدث وأنتم حمير داميات المحازم

أتيتم بشعر بارد متخاذل ضعيف معاني النظم جم البلاعم

فدونكها كالعقد فيه زمرد ودر وياقوت بإحكام حاكم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم .

(١)

قال الفقيه الإمام الأوحد أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى رضى الله عنه[*] :

١ - لك الحمدُ يارب والشكر تمْ   لك الحمدُ ما باحَ بالشكر فمْ
٢ - لك الحمدُ فى كل ما حالـةٍ   فقد خصَّنى منْك فضلٌ وعَمْ
٣ - من الماءِ أنشأتنى نطفـةً   ومن بعد ذلك لحم ودَمْ
٤ - وأسكنتَ فى جسدى رُوحَـه   وأحملتَها فى طِبَاقِ الرَّحِمْ
٥ - وأخرجْتَنى بعدُ فى عالـمى   وبلَّغْتَنى دَرَجاتِ الفَهِـم
٦ - فمنكَ لى البصرُ المقتفِـى   وسمعٌ وذوقٌ ونطقٌ وشَـمْ
٧ - وحِسٌّ صحـيحٌ وتمييزُ مـا   خلقـتَ بأنواعـه من أُمَـم
٨ - ومكَّنْتنى من فنونِ العُلـومِ   ببادى الكـلام وخطِّ القَلَـمْ
٩ - وعلمتنى الحكم فى هَـلْ ومَـا   وأطْلَعْتنى طَلْـع كيف ولَـمْ
١٠ - وَحَـدُّ الحقائق ميـزْتَ لى   من الباطِل المتقى فى الكَـلِمْ

(*) هذه القصيدة حديث عن نعم الله ، وكونه ، وصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ ، وفيها وعظ حسن . ارتجلت فى مجلس الخلافة .

(١) بين قوله (تم ، فم) جناس . وأرجح أن تكون : « ثم » .

(٢) ما حالة : تقديم (ما) على النكرة يفيد المبالغة فى الاستغراق وتأكيده .

(٣) هذه إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ **الله الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة** ... ﴾ .

(٨) ببادى الكلام : أى ظاهره وبليغه .

(٩) المراد الوقوف على ما يسأل بهل ، وما ، وكيف ، ولِمَ .

(١٠) المتقى : المحذور .

١١ – برهان صدق يليح اليقينَ ويَنْفِى المحالَ وُيبْدِى الحكَمْ
١٢ – ويُوفى المسمَّى بيانَ اسمه ويَحْتِدُ بالوصف ما لم يُسَمْ
١٣ – ومن هَيْئةِ الفَلَكِ المستَدِيرِ وقَفْتُ على حدِّه المنتَظِمْ
١٤ – وما فيه من فلكٍ دائرٍ ومن كوكبٍ قاطعٍ كالعَلَمْ
١٥ – فأكبرها قاصِدا مَغْرِبا وسائرُها جهةَ المشرق أمْ
١٦ – إدارةُ رَبٍّ لها مُنْشِى يصرفها أمْرُه حيث حُمّ
١٧ – يخالفُ ما بين أدْوارها على سنَن راتبٍ مُسْتَتِمْ
١٨ – ليعلمَ أهلُ النُّهى أنَّها مُدَبَّرةٌ لحكيمٍ حَكَمْ
١٩ – وأن ليس يختار شيئا ولا لنا الحكم بل الإلهُ الأمَمْ
٢٠ – يُدِيرُ بأزمانِها دَهْرَها فَيَثْبُتُ مَبْدَؤُها لِلْفَهِمْ
٢١ – وتشهدُ أن الذى صاغَها هو الواحدُ الحقُّ بارى النَّسَمْ
٢٢ – هو الأولُ المبتدى خَلْقَها كما شاءَ إذْ شاءَ فرّق وضَمْ
٢٣ – فأبدى الزمانَ وأبدى المكا نَ وما فيهما صاغ بَدْءًا ولَمْ
٢٤ – هواءٌ وماءٌ وأرضٌ ونارٌ ومَشْرِقُ أنوارِها والظُّلَمْ
٢٥ – نهارٌ مضىءٌ وليلٌ أحَمْ وبحرٌ عميقٌ وطودٌ أشَمْ
٢٦ – وركب لديها كيف يشاء فسكانُ برٍّ وسُكّانُ يَمْ
٢٧ – ونبتٌ يقوم على ساقِه وآخرُ لا ساقَ يُعْليه ثَمْ

---

(١١) يليح : يظهر اليقين ويبدى ضوءه ، من (ألاح) بمعنى تلألأ .

(١٢) نوق (فى الأصل) و (يحتد) فى الأصل . والظاهر أنه يحتد من حددته : فصلته ووضحته .

(١٤) كالعلم : كالجبل .

(١٦) حُم : قضى وحكم ونزل .

(١٨) النهى : العقول .

(١٩) فى الأصل : (لألاه) .

(٢٢) فرق وضم : تفريق وتجميع .

(٢٣) ولمْ : جمع .

(٢٥) أحم : مظلم ، وطود أشم : جبل مرتفع عال .

(٢٧) ثم : هناك .

٢٨ – بلا فِيمَ قطعـا ولا لَمْ ولَا   هنالِك مِـمْ ولا فيه بِـمْ
٢٩ – ولا كان شـيءٌ سواه لـه   مثالاً ولا مخرباً ما نَظَـمْ
٣٠ – فصاغ العقـولَ كما شاءَهَـا   فمن شاءَ أذْكَى ومن شا أصَـمْ
٣١ – وركبها في النفوسِ الـتى   كما شاءَ إنشـاءَها ربُّكُـمْ
٣٢ – وما كانَ مِنْ قَبْلُ عَقْـلٌ ولا   شـفاهٌ ولا كانَ مـدحٌ ولا ذَمّ
٣٣ – ولا كان عـدلٌ ولا حكمـةٌ   ولا كـان ظُلْـمٌ ولا مَنْ ظَـلَمْ
٣٤ – ولو كـانَ ذلك لم يعتَدِلْ   وجودُ الأمور ولم يَسْتقِـمْ
٣٥ – لأن الكثير لـه عـدةٌ   تُعَـدُّ وتحصـره إذْ يُعَـمْ
٣٦ – وما حصرتْه حدودُ الكـلامْ   فوجْدانُه صـح بعد العـدمْ
٣٧ – فغاياتُـه جامعـاتٌ لـه   فقد صح مَبْدَؤُه وانتظَـمْ
٣٨ – ولكـن مبدعَهـا واحدٌ   هو الأولُ الحـقّ أفنى إِرَمْ
٣٩ – وليس بمعجـزه ما يقُومُ   بوَهْـم إليه وما لَمْ يَقُـمْ
٤٠ – ولا شيءَ يشْبِهـه جُملَةً   يحقق ذلك من قدْ عَلِـمْ
٤١ – فأبْدَى اللغاتِ وأعطى العلومَ   وأفشى الصناعاتِ والكُلَّ زَمّ
٤٢ – ولولا التعاليمُ لم نُدْرِهـا   ولا عاشَ حيٌّ ولا تغد أم
٤٣ – فصـحَّ بذلك إرسـالُ مَنْ   به علم الناس ما قد عُلِـمْ
٤٤ – فيالك برهـان حـقٌّ بدا   مخَلّى من الجهْل ما قد أهَمّ

---

(٢٨) المراد نفى أن يتوجه بهذه الأسئلة عن الله سبحانه ، فهو منزه عن ما يخطر بالبال ، متعالٍ عن النظم والمثال : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ وفيم ؟ ولِمْ ؟ ومِمّ ؟ وبم ؟ أسئلة تتوجه على غيره سبحانه .

(٣٠) المراد : ومن شاء أصمه ، فعل به ذلك .

(٣١) وربكها : الضمير للعقول .

(٣٨) إرم : ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وهم عاد قوم هود عليه السلام .

(٤١) والكل زم : أى ضمن وحمى ورعى الجميع .

(٤٢) ولا تغد أم : أى ولا تغذى قاصد .

٤٥ – بصـــدقِ النبوة والمبتدِى لخلق الجميع ومُنْشِى النَّعَـــمْ
٤٦ – وأرسل مُرْسَلَه بالهُدَى عَلَى ما قضاه وما قدْ حَتَـــمْ
٤٧ – محمـدٌ المصطفَى بالكِتَاب به أنبياء الهدى قد خَتَـــمْ
٤٨ – فشق لنا القمر المستنيرْ بحضرة راضين أو من زَعَـــمْ
٤٩ – وأبدى اليَنَـابيعَ عِـنْ كَفِّـه فأروى به الجيشَ والجيشُ جَـمّ
٥٠ – وأعجز فى نظم قرآنِـه أولى حَضَـر وبداة الخِيَـمْ
٥١ – ودانَ المـلوكُ لآياتـــه خِـلاف التكاذيبِ ممنْ زعَـمْ
٥٢ – على غير خوف له يُتَّقـى ولا رَغْبـةٍ عنده تغتَنَـــمْ
٥٣ – فَحلُّـوا له عُقْدَ تيجانهـم وحَلّوا له ملكَهُـمْ فانهدَمْ
٥٤ – بطيـب النُّفوس بِـلا سَلِّ سَيْـــفٍ ولا بَذْلِ مالٍ له يُقْتَسَـــمْ
٥٥ – كبـاذانَ فى اليمن المنتبى وأهْـلِ عُمَـانَ وضاحِـى قدمْ
٥٦ – إلى ذِى الكلاعِ وذِى ذُورَةٍ إلى ذِى ظُلَيْم فأقصى إرَمْ
٥٧ – وصَحَّ لنا نقلُ أعْلَامِـه وأحْكَامِـه باتصالٍ سَلِـمْ
٥٨ – فَمَـا فيه معترف يُتَّقـى بإطْبـاقِ عُرْبٍ ونَقْلِ العَجَـمْ
٥٩ – وقد ظهر الحـقُّ فيما به أتى لا كَنَقْلِ كثير السَّقَمْ
٦٠ – كنقْلِ النصارى ونقلِ اليهودِ ونقلِ المجوسِ لأخبارِ خُـمْ
٦١ – أحاديثُ لم تكُ فى أصْلِهَا تُبَـاحُ ولكنَّهـا تُكْتَتَـمْ
٦٢ – ولم تأتِ إلا بنقلِ أتَى به كُلُّ مفتضـح مُتَّهَـمْ
٦٣ – يناقِضُ بعضُهـا بَعْضَهـا تكاذِيبُها باديـاتٌ تُنَـمّ
٦٤ – فشتَّانَ بين الهُدَى والعَمَى وشتَّانَ نُورُ الضحى والعَتَمْ

(٤٩) الجيش جم : أى كثير العدد .

(٥٥) باذان : كان حاكم اليمن . والمنتبى : البعيد .

(٦٠) خم : أحد ملوك الفرس ، ومعنى خم : شعاع الشمس – وأظنه يعنى هنا نقل فرقه الرافضة لأخبار غدير خم ، وهى أحاديث موضوعه فى فضائل علىّ .

(٦٢) مفتضح ، فى الأصل : (مفتح) .

(٦٣) تنم : تنقل من مكان إلى آخر ، أو هى تنم : تخبر عن نفسها .

(٦٤) العتم : الظلمة .

٦٥ – فما جاء من عند رَبِّ الجميع — على يَدِ مرسَلِهِ قُلْ نَعَمْ
٦٦ – ولا تعدُه واطْرِحْ غيرَه — وإن لامَ فيه أَخٌ وابنُ عَمْ
٦٧ – تفزْ بالحقيقة مستعجلا — وتسلمْ إذا مُتَّ من كُلِّ غَمْ
٦٨ – ولا تلتفتْ لدعاوٍ أتتْ — لقوم براهينها لم تقم
٦٩ – ولا تشتغل بالذى نفعُه — لدينا لها أمدٌ منْصَرِمْ
٧٠ – فما هذه الدار إنْ حُصِّلَتْ — حَقيقَتُها غيرُ طَيْفٍ أَلَمْ
٧١ – سيفنى العزيزُ ويفنى الذليلُ — وتفنى القُوى وسيفنى الأكمْ
٧٢ – يبيد الجميعُ فلا تغترِرْ — بما لا يدومُ لمن لمْ يَدُمْ
٧٣ – فأين الذين بنوا تَدْمُرًا — وبانى البرانى وبانى الهَرَمْ
٧٤ – وأين الأولى أحكموا قادِشاً — وعقد قناطِرِها والصَّنَمْ
٧٥ – أولئك أهلُ القوى قد مضَوْا — كما قد مضى سَدُّ سَيْلِ العَرِمْ
٧٦ – فمن حَالِ طفلٍ إلى صَبْوَةٍ — وشَرْخِ شبابٍ ويأتى الهرم
٧٧ – وتأتى المنيةُ لابد أنْ — يطيف بنا حكمُهَا الملتزمْ
٧٨ – ومن بعد ذلك دارُ الجزاى — وما قد مضى فكماضى الحُلُمْ
٧٩ – فدارُ النعيم لأهلِ الفلاح — ونارٌ لمن قد عصى تَصْطَلِمْ
٨٠ – فبادِرْ قبيل حلول الردَى — فتندمُ إذْ ليس يُغْنى النَدَمْ

هذه القصيدة فى إثبات حدوث العالم وصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ ، وفيها وعظ حسن ، ارتجلها الفقيه فى مجلس الخلافة دون إعمال روية ، رحمه الله .

---

(٦٦) اطرح : اترك .
(٦٨) براهينها ، فى الأصل : (برهانها) .
(٦٩) منصرم : منقض .
(٧٢) يبيد : يهلك .
(٧٣) تدمر : اسم مدينة ، وتدمر بنت حسان بن أذينة بها سميت مدينتها .

وقال رضى الله عنه إذ أكثر الناس فى عذله وتأنيبه :

١ – قالوا تحفظ فإن الناس قد كثرت	أقوالهم وأقاويل العداء محن
٢ – هل عيبهم لى غير أن لا	أقول بالرأى إذ فى رأيهم فتن
٣ – وأننى مولع بالنص لست إلى	سواه أنحو ولا فى نصره أهـــن
٤ – لا أنثنى نحو آراء يقال بهـــا	فى الدين بل حسبى القرآن والسنن
٥ – يابرد ذا القول فى قلبى وفى كبدى	ويا سرورى به لو أنهم فطنوا
٦ – دعهم يعضوا على صم الحصى كمدا	من مات من قوله عندى له كفن
٧ – إنى لأعجب من شأنى وشأنهم	واحسرتا إننى بالناس ممتحن
٨ – ما إن قصدت لأمر قط أطلبـــه	إلا وطارت به الأظعان والسفن
٩ – أمّا لهم شغلٌ عَنِّى فيشغلهم	أو كلهم فِىَّ مشغول ومرتهن
١٠ – كأن فكرى شيخ به أمروا	فليس يغفـــل عنى منهم لســـن
١١ – إن غبت عن لحظهم ماجوا بغيظهم	حتى إذا ما رأونى طالعا سكنوا
١٢ – دعـــوا الفضول للبيان لكـــى	يدرى مقيم على الحسنى ومغتبن
١٣ – وحسبى الله فى بدء وفى عقب	بذكره تدفع الغارات والإحـــن

* * * * *

وقال رحمه الله فى مدح كتب الحديث والحث على طلبه :

١ – أنائم أنت عن كتب الحديث وما	أتى عن المصطفى فينا من الدين
٢ – لمسلم والبخارى اللذين هما	شدا عرى الدين فى بل وتبيين
٣ – أولى بأجر وتعظيم ومحمدة	من كل قول أتى من رأى سحنون

---

(١) العدا : الأعداء . محن : شدائد ومصائب يبتلى بها .
(٢) أن لا : أنى لا . فتن : فى روايه : أفن .

٤ – هيهات رأى امرىء من وحى خالقنا قياس هذا بذا رأى المجانين
٥ – يامن هدى بهما اجعلنى كمثلهما فى نصر دينك محضا غير مفتون
٦ – لا تقطعن بى رَبَّ العرش دونَهُمَا يوم الحسابِ وفى وضْع الموازين

وقال رضى الله عنه :

١ – أجَلْ هو ربعٌ قد عفتْه الروامسُ فهل أنت فيه –وَيْبَ غيرك– حابسَ
٢ – لعل له ان إن تحبس العير ساعة عليه فتبكيك الرسومُ الطوامِسُ
٣ – على أرْبُعٍ قد كان دهرا بطُولهِ لِلَهْوِكَ فيه مَرْبَع ومَجَالِسُ
٤ – عسى يسْتجيبُ الدمعُ إذْ أنا سائلٌ وهَلْ ترجعُ اللفظَ الطلولُ الدَّوارِسُ
٥ – فعُجْتُ عليها ناقتى وهى سَبْسَبٌ سَقَتْه وجَادَتْه الغَمامُ الرَّوَاجِسُ
٦ – وقُلْتُ ودَمْعِى سَاكِبٌ متحدرٌ وإنْسان عينى فى هَوَاميه غَامِسُ
٧ – لقد كان عيشى فيك لو دام مُونقاً ولكن أتتْ ذاكَ الخطُوظُ الأبَاخِسُ
٨ – ليالىَ مَنْ أهواه يمسى كأنه من العُفْر ظَبْىٌ بالصَّريمة كَانِسُ
٩ – وإذ شَمْلُنا بَاقٍ جَميعٌ مجسَّدٌ ولم تَقْتطع ذاك الدهورُ الدهَارِسُ

(١) أجل : جواب بمعنى نعم . عفته : محت معالمه . الروامس : الرياح .
ويب : فى الأصل : (ويب) ، وهى كلمة مثل ويل ، قال الكسائى : من العرب من يقول : ويبك وويب غيرك .
(٢) لعل : فى (ط) : لقل . والرسوم الطومسى : آثار الديار التى محيت معالمها .
(٣) الأربع : جمع ربع ، وهو المنزل ، وأهله ، والعدد الكثير .
(٤) الطلول الدوارسى : الآثار التى محيت .
(٥) فعجت : عطفت وملت نحوها . والسبسب : هى الأرض القفر البعيدة .
الرواجس : الراعدة رعدا شديدا .
(٦) غامس : بمعنى مغموس ، أى : غطاه الدمع الهامى .
(٧) الأباخس : المنقوصة .
(٨) الأعفر من الظباء : ما تعلو بياضه حمرة ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض ، والعَفَر : التراب . والكانس : الذى دخل فى كناسه ، لأنه يكنس الرمل .
(٩) الدهارس : الدواهى .

١٠ – فكان جوابُ الربْعِ إذْ أنا سائل وهل تَفْهم القولَ الربُوعُ الأخَارِسُ
١١ – كذلك حكمُ الدهر آتٍ وذاهبٌ وفى الدهر أصنافٌ مدُوسٌ ودَائِسُ
١٢ – فعرجت عنه موجَع القلب ثاكِلاً وبين الحشا لذ ع من الحزْن نَاخِسُ
١٣ – وفى طَيِّ مَثْنِيِّ الصفيح على الثَّرى سَنَى سِنِّه للشَّكْلِ والحُسْنِ لابِسُ
١٤ – غريبُ صفات الحسن إن يمنع حسنُه فأمنَعُ معدُومٍ هُنَاكَ المجانِسُ
١٥ – إذا حُدَّ لم تحو الحدودُ جهاتِه وإنْ قِيسَ يوما ضلَّ فيه المقايس
١٦ – فَدَيْنَاهُ من ظَبْى يلوحُ ضِيَاؤُه على مثله حقًّا أصابَ المنافِسُ
١٧ – عَجِبت لدهْرٍ لايْنِى وهو طَالبى بثأرٍ ولا ينْفَكُّ دَأْباً يمارسُ
١٨ – إذا ما اصْطَرَعْنَا فالتداولُ بَيْنَنَا عِراكٌ فمنهوسٌ هُنَاكَ وَنَاهِسُ
١٩ – فتسعٌ وعشرون أتيحتْ سِهَامُها لِرأْسِى فعَضَّتْ فيه فالرأس هَارِسُ
٢٠ – كأنَّ بياضَ الرأس ينعى سوادَه صَبَاحٌ تَعَرَّى عنه لَيْلٌ عُكَامِسُ

---

(١٢) هذا البيت ليس فى (ط) .

(١٣) (سى سن) هكذا فى الأصل .

(١٤) (إن يمنع) : فى الأصل : (منع) ، وفى (ط) : تبيع . ولعل الصواب ما أثبتنا . والمجانس : المشابه .

(١٥) المقايس : من قاسه على غيره : قدره على مثاله . والمقدار مقياس .

(١٧) لا ينى : لا يتمهل .

(١٨) منهوس : اسم مفعول من نَهِسَ اللحمَ – كمَنَع وسَمِع – : أخذه بمقدم أسنانه ونتفه . والمنهوس أيضا : القَليل اللحم من الرجال .

(١٩) هارس : الهرس : الدق الشديد العنيف .

(٢٠) ليل عكاس : مظلم ، وعكمس الليل : أظلم . فى (ط) : تفرى ، وهى فى (الأصل) : (تعرى) وهو المناسب للسياق . وصباح : فى (الهامش) وهى فى (الأصل) : بياض .

٢١ – فأهلاً بوفْدِ الشيبِ إذ جاء وافدا وكُنْتُ وقَلْبى قبل ذَا مِنْه واجسُ
٢٢ – ولما أُتى ردت نفوسٌ بغيظها ولم تنْبِسط نحوى اللِّحاظُ النَّواعسُ
٢٣ – ولم أَرَ مثل الشيب أَوْفَى زينة ليذعرَ عقيانَ النهارِ المؤانسُ
٢٤ – وكنا نجوما طالعات مضيئة تُنيرُ بأدناها الخطوبُ الحنادِسُ
٢٥ – لقد كان لى فى بعض ذلك واعظ وما اختلستنيه الصروفُ الخوالِسُ
٢٦ – تنَأَّيْن عَنّى كالغصون وأعرضت ضواحك أقمار وهن عوابس
٢٧ – وقد طال ما ارتاحت وهزت غصونها لقربى أحقافُ الرمالِ الأواعِسُ
٢٨ – ظباءٌ إذا قيس الظباءُ بحسنها فإن يَعافير الظباءِ خنافسُ

---

(٢١) واجس : فزع ، والواجس : الهاجس ، والوجس : الفزع يقع فى القلب أو السمع من صوت أو غيره .

(٢٢) النعاس بالضم : الوسن . واللِّحاظ : مؤخر العين مما يلى الصدغ ، والجمع : لحظ ، مصدر لاحظته إذا راعيته .

(٢٣) هذا البيت فى الأصل هكذا :

ولم أر مثل الشيب أو فى رنية ليدعر مصبات النهار الموانس

وضبطه فى (ط) هكذا :

ولم أر مثل الشيب أو فى وفيه ليذعر عقبان النهار المؤانس

ومعناه غير واضح . وأرى أن الشطر الثانى من الممكن أن يكون هكذا :
ليدعوه عقيان النهار الموائس .

والمعنى : يسميه ذهب النهار الفتيات المائسات .

(٢٤) الحنادس : المظلمات .

(٢٥) اختلسته : سلبته . والصروف : الدواهى .

(٢٦) تنأين : بعدن .

(٢٧) الأحقاف : الرمال المجتمعة . والأواعس : الرمال السهلة التى يصعب فيها المشى .

(٢٨) يعافير الظباء : الظباء التى يعلو بياضها حمرة .

٢٩ - زمانٌ يسودُ المرء فيه بحقه ولا كزمان سادَ فيه الفلافس

٣٠ - زعيمون أن يقضى لنا دون غيرنا إذا ازدحمت عند الملوك القلانسُ

٣١ - سمونا فما فى دهرنا غير حاسد وطلنا فلم يُدْرَكْ فم ثم نابِسُ

٣٢ - إذا ما تُراميني مفاخرُ معْشَرٍ فأَيْسَرُ فخرى للمفاخِرِ هَارِس

٣٣ - وإنِّى بعرضى دون دينى مُتَّقٍ وإنى بروحى دون عرضى مُتَارِسُ

٣٤ - سما بى ساسانٌ ودَارًا وبعدهم قريشُ العلى أَعْياصُها والعنابِسُ

٣٥ - فما أخرتْ حربٌ مراتبَ سُؤْدَدِى ولا قَعدَتْ بى عن ذُرَى المجدِ فارِسُ

٣٦ - هنالك مجدُ الدهر طالتْ فروعُه فهن مواضٍ صُعَّدٌ لا نواكس

٣٧ - مَلكْنَا مُلُوكَ الأرضِ فى كُلِّ جانبٍ فَحدُّ مُنَاوِينَا الحدودُ الأَوَاكِسُ

٣٨ - إذَا شَبَّتْ الحربُ العَوانُ فبأسُنَا لِكُلِّ منيع النَّيْل فى الناس فارِسُ

---

(٢٩) هذا البيت ليس فى (ط) .

الفلافس : ليس لها أصل . ولعلها : الفلاحس : جمع فلحس ، وهو الرجل الحريص .

(٣٠) زعيمون : جديرون . القلانس : جمع قلنسوة ، وهى ما يلبس فى الرأس .

(٣١) طلنا : قدرنا . نابس : متحدث .

والرواية فى الأصل : (فماً) ، وضبطها فى (ط) : (ندك فما) .

(٣٢) هارس : من الهرس وهو الدق ، يقصد أنه غالب .

(٣٣) متارس : مدافع ، من تترس بالشىء : استتر به .

(٣٤) سما بى : فى بعض المراجع : (أبى) . ساسان ودارا : جيلان من الناس بديار الفرس . والأعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص . والعيص : الأصل . والعنابس من قريش : أولاد أمية ابن عبد شمس الستة : حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو . والعنبس : الأسد .

(٣٥) السؤدد : الشرف .

(٣٦) نواكس : مطأطىء الرؤوس .

(٣٧) المناوىء : المعادى . والأواكس : النواقص .

(٣٨) الحرب العوان : الشديدة .

٣٩ – أَبَاحُوا بيوتَ النارِ كُلَّ ذخيرة حَمَتْها شياطينُ الرَّدَى والأبَالِسُ
٤٠ – فلما أَتَى الإسلامُ بالحق والهُدَى أَقَرُّوا لِنُورٍ حَوَّلَتْه الأحامِسُ
٤١ – فشُدَّتْ عُرَى الإسْلامِ فيهم وعُطِّلَتْ بأَسْيَافهم للمشركين مدارِسُ
٤٢ – وأُعْلِنَ دينَ اللهِ فى الأرضِ بأسُهم وذُلَّتْ بهم للمسلمين الكنائِسُ
٤٣ – فسائِلْ بسلمانَ وبالحسنِ الرضى زُرَاراً وفَيْروزَ هداةٌ أشاوِسُ

---

(٣٩) الذخيرة : ما ادخر لنفاسته .
(٤٠) الأحامس : لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تبعهم فى الجاهلية لتحمسهم فى دينهم ، أو لالتجائهم بالحمساء وهى الكعبة لأن حجرها أبيض إلى السواد . والحماسة الشجاعة .
(٤١) فيهم : ليست فى (ط) .
(٤٣) أشاوس : شجعان أسياد .
عدة هذه القصيدة فى المخطوط المنسوب لابن حزم ثلاثة وأربعون بيتا ، وقد أثبت (ط) منها : واحدا وأربعين بيتا ، وقد أشرنا إلى ذلك فى موضعه : وهو البيت الثانى عشر والبيت التاسع والعشرون .

(٦)

وقال رضى الله عنه إذ حبس يتشوق إلى أهله وولده(*) :

١ - مُسَهَّد القلبِ فى خدَّيْه أدمُعُه ... قد طال ما سرقت بالوجْد أضْلُعُه
٢ - وَانِى الهموم بعيد الدار نازحها ... رجعُ الأنين سكيبُ الدمع مصرعه
٣ - يأْوِى إلى زفراتٍ لو يباشرُها ... قاسى الحديد فواقاً ذابَ أجمعُه
٤ - إذا تخلَّل فى أرجائِها فرحــاً ... ظَلَّت قواصِفُها باليأسِ تَقْرَعُه
٥ - وإن ونَتْ لوعةٌ عن كُنْه صولَتِها ... هبت له لوعةٌ رقْشاءُ تَلْسَعُه
٦ - نامتْ به فى بحارِ الحزْنِ فِكْرتُه ... حتى رمتْه سحيقاً ضَلّ مَرْجِعُه
٧ - كم فكرةٍ دلَّهَتْه فى مسارِحها ... تسقيه سُمًّا نقيعاً بات يجرعُه
٨ - ذِكْرى لفِراخه فى كل ناحية ... تُوحِى إلى القلبِ أسراراً تُقَطِّعُه
٩ - كم قد تحملَ من أعْباءِ نأْيِهِمُ ... نضْواً نَبا بلذيذِ النَّوم مَضْجَعُه

(*) فى هذه القصيدة يبكى أسره وقيده ، ويرسل السلام إلى من لم يودعه ، ويتوسل بالله ثم يستشفع بأبى هلال ذلك العزيز العالى لدى الحليفة ، ويدعو له أن يعيش عزيزا مدى الأيام .

(١) مسهد : سهران لا ينام . الوجد : الحزن .

(٢) رجع الأنين : كثير البكاء .

(٣) الزفرات : الآهات الحارة من شدة الحزن . فواقا : وقتا من الزمن مقدار ما تحلب ناقة ، أو ما بين الحلبتين .

(٤) تقرعه : تضربه وتصيبه .

(٥) ونت : تأخرت . واللوعة : لذعة الحب . رقشاء : كالحية الرقشاء شديدة اللسع .

(٨) فراخه : أولاده .

(٩) نضوا : سهما . نبا : فارق مضجعه النوم ، والمراد أنه أصبح هزيلا من الهم والحزن وعدم النوم والتفكير فى أولاده .

١٠ – قد عانَدَ الحزنَ حتى عادَ يرحمُهُ وساورَ الدمعَ حتى جَفَّ مدمَعُه
١١ – وصار يرحمه مَنْ كان يعذِلُه لما اصطفاه من الأحوالِ أشْنَعُه
١٢ – تجولُ حلتُه فى ذاتِه فترى أثارَ ما الدهر بالأحرارِ يَصْنَعُه
١٣ – جسم تخونَتْ الأيامُ جثَّته فعادَ كالشنِّ مرآه وسمعُـــه
١٤ – تناهبتْ نُوَبُ الدنيا محاسنَه فالضيْم مَلْبَسُـــه والسِّجْنَ موضِعُه
١٥ – يشكُو إلى القيد ما يلْقَاهُ من ألَمٍ فيالا بين لَدَى شَكْواهُ يُرْجِعُه
١٦ – ياهاجعاً والرزَايَا لا تؤرِّقُه قُلْ كيفَ يهْجَعُ مَنْ فى الكَبْلِ مَهْجَعُه
١٧ – أمْ كيفَ حالةُ حيٍّ ساكنٍ جَدَثاً يَرْنُو بعينِ أسيرٍ عَزَّ مطمَعُه
١٨ – قد طال فى هاويات السِّجْنِ محبَسُه وانْشَتَّ من شمله ما كان يجمعه
١٩ – فكم زفيرٍ يقُدُّ الصخرَ أيْسَرُه وكم أنينٍ بنارِ الوجْدِ يَسْفَعُه
٢٠ – ما رَجَّعَتْ سجْعَها حيناً مطوقةٌ إلا ومن فَضْلِ شَجْوى ما تُرجِّعُه
٢١ – ولا تجرع كأسَ الوجدِ من أحدٍ إلا ومن فَضْلِ وَجْدِى ما تجرَّعَهُ

---

(١٠) ساور الدمع : غالبه .

(١١) يعذله : يلومه .

(١٢) تجول حلته فى ذاته : كناية عن نحافته ونحول جسمه . فالهم يخترم الجسم نحافة ، ويشيب ناصية الغلام فيهرم .

(١٣) تخونت : تنقصت منه بتأشيرها فيه . والشن : الثوب البالى .

(١٤) نوب الدنيا : أحداثها ومصائبها . والضيم : الذل .

(١٦) الهاجع : النائم . تؤرقه : توقظه . الكبل : القيد .

(١٧) جدثا : قبرا . يرنو : ينتظر . عز : بُعد .

(١٨) وانشت : تفرق .

(١٩) الزفير : النفس الحار ، يخرج عن اشتداد الهم والحزن . يسفعه : يضربه بوجهه ، وهو اللفح اليسير .

(٢٠) المطوقة : الحمامة ، والترجيع : صوتها المرجع . والشجو : الحزن .

(٢١) تجرع : شرب . والوجد : الحزن .

٢٢ – يا راحِلاً عندَ حَيٍّ عندَه رَمَقِي ... اقْرا السلامَ على مَنْ لَمْ أودِّعُه
٢٣ – وسَلْهُ باللهِ عن عَهْدِى أيَحْفَظُه ... فَعَهْدُه بمكانٍ لا أُضَيِّعُه
٢٤ – وكيف يهنى ، ومَنْ أُمْسى يُصبِّره ... أمْ كَيْفَ بَعْدَ بعادِى عَنْه أربُعُه
٢٥ – تجهَّمتْ نُوبُ الدنيا لعامِرِها ... فلا يَدٌ عن يَدِ الضراءِ تمنعُه
٢٦ – وَاطولَ شَوْقَاهُ ما جَدَّ البُعادُ بهم ... إليهمُ مُذْ سَعَوْا للبيْنِ أقْمَعُه
٢٧ – لئن تباعد جُثْماني فلم أرَهُمْ ... فعنْدَهُمْ – وأبيكَ – القلبُ أجْمَعُه
٢٨ – أقولُ والدهرُ قد غالتْ غوائِلُه ... وحَطَّ مِنِّى مكاناً كانَ يرفَعُه
٢٩ – عَسَى لطائِفُ مَنْ لا شَيءَ يُعْجِزُه ... تَحْنُو على شَمْلِنَا يوما فتَجْمَعُه
٣٠ – بمبتَنِى المجدِ مُذْ حُلَّتْ تمائِمُهُ ... بحيثُ لا نُوَبُ الدنْيا تُضَعْضِعُه
٣١ – بحيث يشتجر الخَطِّىّ فى صَفَــدٍ ... ويَفْطِمُ السيفُ ذا بَأْسٍ ويُرضِعُه
٣٢ – بالحاجبِ المرتجِى السامِى أُرومَتُه ... أبِى هلالٍ الذى بالسَّعْدِ مَطْلَعُه

---

(٢٢) الرمق : بقية الحياة .

(٢٤) الشطر الأول هكذا : (وكيف سحيني وعن أنسى تصبره) : وهو غير واضح . والأربع : الديار .

(٢٥) تجهمت : عبست وكلحت .

(٢٦) واطول شوقاه : ما أطول شوقى إليهم . وهذا أسلوب يسمى فى علم النحو : الندبة وهى نداء فيه : (وا) .

(٢٧) وأبيك : قسم معترض به بين الخبر والمبتدأ .

(٢٨) غوائل الدهر : دواهيه وأحداثه .

(٢٩) المراد : الرجاء فى لطف الله فهو قادر على جمع شملنا فليس يعجزه شىء .

(٣١) الخطى : نوع من أنواع الرماح تسمى الرماح الخطية . والصفد : ما يوثق به الأسير .

(٣٢) أرومته : أصله .

٣٣ – سَما إلى غاية فى المجد ساميـــةٍ فَنَالَ غَايَةَ ما قدْ كَانَ يَزْمَعُه

٣٤ – فأصبحتْ قُلَلُ السَّامين خاضعـةً لِعزِّه وسماءُ المجد مَوْضِعَـه

٣٥ – وارتاحَ للعُرْف والحاجاتِ يُسْأَلُها فغص بالوفد والآمـال مَصْنَعُه

٣٦ – نِعْمَ الشَّفِيعُ لمن ضاقَتْ مذاهبُـه لدى الخليفةِ أسْمَى مَنْ يُشَفِّعُه

٣٧ – وَكُلُّ زارعِ خيرٍ عند مضطهدٍ فَسَوْفَ يحصدُ ما قد كانَ يَزْرَعُه

٣٨ – فَعِشْ عزيزاً على الأيام محتكما مَا هَزَّ ذَيْلُ الصَّبَا غُصْناً يزعْزِعُه

---

(٣٣) يزمعه : يقصده مجمعا عليه .

(٣٤) قلل : قمم ، وقلة الجبل : أعلاه .

(٣٥) يُسْألها : تطلب منه .

(٧)

قال رضى الله عنه يخاطب أبا المطرف[*] : (الطويل)

١ — أخٌ لى مشْكُورُ المسَاعِى وسَيِّـدٌ تَسرُّ بوادِيه إذا ساءَك الصَّحْبُ
٢ — ألَمَّ يُجَالِينى جَلاءَ مُجَرِّبٍ على أنَّه حقًّا لى العالِمُ الطَّبُّ
٣ — يُطَالِعُ فى سُبُلِ البلاغةِ مَذْهبى وهَلْ يَسْتَوى منها لى الحَزْنُ والسَّهْبُ
٤ — وكيف أنا فيها إذا ما تشعَّبتْ وضاقَ على طُلَّابها المنهجُ الرحْبُ
٥ — فلحت له خِرِّيتَ غَفْل ومَجْهلٍ يضلّ لديه النجمُ والقَشَمُ النكْبُ
٦ — فيأيها القاضى المبجل والذى مواردُه من سرى البارِدِ والعذبُ

(*) أبو المطرف هذا هو عبد الرحمن بن أحمد بن بشر قاضى الجماعة فى قرطبة ، ويكنى أبا المطرف ، ويعرف بابن الحصار ، كانت بينه وبين ابن حزم صداقة ، وتدوولت بينهما الرسائل ، ولاه على بن حميد القضاء سنة ٤٠٧ هـ ، فبقى فيه إلى آخر سنة ٤١٩ هـ ، وكان ماهرا بالحكومة ، مع حلاوة اللفظ وحسن الخط ، وعابه ابن حيان مؤرخ الأندلس بالشعوبية وبقعوده عن الرحلة إلى المشرق . توفى سنة ٤٢٢ هـ . ترجم له : الحميدى فى : (جذوة المقتبس ٥٨٨) ، وابن بشكوال فى (الصلة ٣١٩ ، ٣٢١) وغيرهما .

وقال الضبى فى (البغية) : وهو الذى خاطبه أبو محمد بالقصيدة البائية التى يفخر فيها بنفسه وعلومه (٣٥٩) .

(١) بواديه : ظواهره .

(٢) يجالينى : يكشف ما عندى ويظهره . الطب : الماهر الحاذق .

(٣) الحزن : الصعب الشاق . الشَّهب : المستوى السهل ، وهو بالفتح . وهل هنا بمعنى : كيف .

(٤) الرحب : الواسع .

(٥) لحت : ظهرت . والخريت : العالم بالشىء ، ودليل الصحراء . والغفل : الأرض الخالية من الأعلام . والقشم النكب : الرياح الشديدة .

(٦) المبجل : المعظم .

٧ – ومَنْ دانَ أربابُ العلوم بأسْرِهم ... له بصريح الرق وهو لهم رَبُّ
٨ – أعِيذُك أنْ تَرْتَابَ أنَّنى الذى ... أتى سابِقاً والكُلّ ينجزُّ أوْ يَحْبُو
٩ – ومثلى إذا جَدَّ الرجالُ وأُتْعبوا ... نفوسَهم سَعْيا وكَدَّهم الخَطْبُ
١٠ – تقدم سَبْقا ثانيا مِنْ عَنَانِه ... وغَادرَ مَنْ جَارَاه فى رَهْجه يكبو
١١ – أمِثْلُكَ يعْشُو عن مكانى ويمْتَرِى ... بأنِّى من أفْلاكِ ذَا الأدبِ القطبُ
١٢ – أيخفى عليكَ البدرُ لَيْلَةَ تَمِّهِ ... ولم يستتر عنكَ النيازكُ والشهب
١٣ – وأنت الذى يلقى الخفياتِ ظاهراً ... بعين نُهىً لم تُرْجَ مِنْ دُونِها الحُجْبُ
١٤ – فكيف بما وَازَى الجهولَ تَمكُّناً ... ذَوو العلمِ فيه واستوى السُّودُو الصُّهْبُ
١٥ – وحَاشَاىَ أن يمتد زَهْوٌ بمنطقى ... وأن يستفز الحلْمَ فى قولى العجبُ
١٦ – ولكنَّ لى فى يوسفَ خيرَ أسوةٍ ... وليس على مَنْ بالنبى ائْتَسَى ذَنْبُ
١٧ – يقولُ – وقال الحقَّ والصدق – إنَّنى ... حفيظٌ عليمٌ – ما على صادق عَتْبُ
١٨ – فلو كُسِىَ الفولاذُ حِدَّةَ خاطِرى ... تساوَى لَدَيْه اللَّحْمُ والحجرُ والصُّلْبُ

---

(٧) أرباب العلوم : العلماء فهم أصحابها .

(٨) ترتاب : تشك . ينجر : يسحب على وجهه . يحبو : يمشى مقيدا ، وذلك كناية عن تأخرهم عنه .

(٩) كدهم : أتعبهم .

(١٠) العنان : لجام الفرس . جاراه : سابقه . يكبو : يتعثر . والرهج : غبار الطريق .

(١١) يعشو : يعمى . القطب : سيد القوم ، وملاك الشىء ومداره .

(١٣) نهى : عقل . الصهب : حمرة أو شقرة فى الشعر .

(١٥) حاشاى : استثناء ، أى أبرأ وأعاذ أن أزهو أو أكون معجبا .

(١٧) يقول : أى يوسف ، وهذا اقتباس من الآية الكريمة : ﴿ **قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم** ﴾ . والعتب : العتاب .

(١٨) الفولاذ : الحديد الصلب .

١٩ – ولو كان للنيران بعضُ ذكائه وفاضَتْ عليه لجةُ البحر لم تَخْبُ

٢٠ – وما اختص علمٌ دُونَ عِلْمٍ بوجْهتي بل مَسْرحي في كلها الواسعُ الخِصْبُ

٢١ – تَظَلُّ فنونُ العِلْمِ تجْلَى إذا غَدَتْ بِأَيْدِي رجالٍ وهي مَنْجولةٌ عُضْبُ

٢٢ – وما عَزَّني والحمد لله مَطْلَبٌ من العلم مِمَّا أبقَتْ العُجْمُ والعُرْبُ

٢٣ – حليفي ومُحْيِي همتي ومنيرُها ورافعُ ذكرى حيثما اتصل الركبُ

٢٤ – وأُنْسِيَ مذ خمس وعشرين حجة أروح وأغدو وهي صارمي العَضْبُ

٢٥ – وخطَّتي العُلْيا التي لست أتقي حياتي منها العزلُ مارتع الضَّبُّ

٢٦ – ومالٌ عميم لستُ أخشى نفادَه بإنفاقِه ، لا بلْ يزيد ويَنْصَبُ

٢٧ – سموتُ بِنَفْسِي لا بمجدٍ هوتْ به من الزمن العداء آلاته الحُدْبُ

٢٨ – على أنه لو شئتُ قلت مصدقا وأقبحُ قَوْلٍ ما أَلَمَّ به الكِذْبُ

---

(١٩) ذكائه : أي توقد خاطره بالفكر الذكية . لم تخب : لم تطفأ . في (ط) : يخب والضمير يعود على النيران ، فالسياق يقتضي : (عليها) لأن الحديث عن النيران .

(٢١) تجلى : تظهر وتبين . غدت : أصبحت . منجولة أو منحولة ، والمعنى : واضحة بينة أو معطاة ممنوحة . وعصب أو عُضب ، والمعنى : متقنة محكمة أو قوية حديدية .

(٢٢) عزني : غلبني .

(٢٣) حليفي : أي العلم هو حليفي .

(٢٤) صارمي العضب : سيفي القاطع .

(٢٥) العزل : الانفراد والتوحد . وقوله : (مارتع الضب) : أي ما بقيت حياة .

(٢٦) ينصب : يكثر ويدوم .

(٢٧) الحدب : المعوجة .

(٢٩) رغا : بكى وصوت . السقب : القرب ، وأبياتهم متساقبة : متقاربة ، والسقب : عمود الخباء ولعله المراد هنا ، فالمعنى : من لم يشدها قوية ضعفت بضعف عمودها فسقطت ، فبكى لسقوطها .

(٣٠) نقابا : بحاثا علامة ، والنقب : الثقب ، والمراد : أنه بحاثة عن الأخبار بصير بها .

٢٩ – ولكنه من لم يُشِدْ ما حَلَا له رغًا فى مبانيه وضعْضَعها السَّقْبُ
٣٠ – فإنْ شئتَ فى علم الديانة تَلْقَنى نقابا له لم يخف عنى له نَقْبُ
٣١ – وأما أُفَانينُ الحديثِ فإنَّنى أنا بحرُها الطَّامِى ويَنْبوعُها السَّكْبُ
٣٢ – وَقيَّدْت من فُتْيا ذَوِى الفِقْهِ ضَابِطاً بحفظى ما طالت به قبلها الحُقَب
٣٣ – وإنْ لاذَ طلَّابُ الكلام بجانبى فإنِّى ساقِيهم وكلُّهم شَرْبُ
٣٤ – وعلْمِى بما فى سِرِّ خَصْمى كعلمه فما غابَ عَنِّى سهلٌ ولا صَعْبُ
٣٥ – وإن تذكَرِ الأشعارُ لم يك خارجاً أمامى جرير فى الدهان ولا كعب
٣٦ – وما ضرَّ شِعرى أن «مَنُوشَهْر» والدى ولم يحظ أبى عُلْيَا تَميم ولا كَلْبُ
٣٧ – وَإمَّا تسائل باللغات ونحوها فما صارمى فيها إذا عددت ينبو
٣٨ – وما إنَّ شأْنى عند ذلك سابق على أُننى لم يغرنى التَّعْبُ والوَطْبُ
٣٩ – وحسبك بى فى ذى الأعاريض مَقْنَعا إذا عُدتْ الأوْتادُ والشَّطْر والضَّرْبُ
٤٠ – وإن شئتَ أخبارَ الدهور فإننى أنا جامعُ التاريخ مذ نبتَ الهُضْبُ
٤١ – فما غاب عنى أمرُ مَلكٍ وسُوْقة ولا شذَّ دُونى أمرُ سِلْم ولا حَرْبُ
٤٢ – سواء على ذِكْرى قريبٌ ونازحٌ ومن حملتْ أرضٌ ومن ضمه التُّرْبُ
٤٣ – وإن تذكر الأنساب كنت نقيبَها ولم يخف عن ذكراى حَى ولا شِعْب

---

(٣١) الطامى : كثير الماء . والسكب : المدرار .
(٣٥) يقصد : جرير بن عطية الخطفى الشاعر المشهور ، وكعب بن زهير .
(٣٦) يقصد بذكر (منوشهر) : أن له نسبا بفارس .
(٣٧) ينبو : أى لم يصب وجاوز الضريبة .
(٣٨) الوطب : سقاء اللبن ، والرجل الجافى ، والثدى العظيم .
(٣٩) فى (ط) : مقنعا ، وفى (س) : ممنعا . والصواب الأول .
(٤٠) الهضب : الجبل ، والمراد : مذ وجدت الدنيا .
(٤٣) النقيب : سيد القوم .

٤٤ – ولو أن «رسطاليس» حى بَزَزْتُه   وما عاشَ إلا وهو لى بالحرى تِرْبُ
٤٥ – يسافر علمى حيث سافرتُ ظاعِناً   ويصحبُنى حيثُ استقلَّتْ بِى الرَّكْبُ
٤٦ – محلته صدْرِى ومسكن عمــره   بحيث التقى منى الترائبُ والتِّرْبُ
٤٧ – إذا ماالجُنوبُ استوطأتْ فى ضجاعِها   فعنه نَبَا عن مَضْجعى منِّى الجَنبُ
٤٨ – أنا الشمس فى جو العلوم منيرةً   ولكنَّ عيبى أن مطلعِىَ الغرْبُ
٤٩ – ولو أننى فى جانِب الشرق طالعٌ   لجدَّ على ما ضاع من ذكرى النَّهْبُ
٥٠ – ولى نحو أكنافِ العراق صبابة   ولا غَرْوَ أن يستوحشَ الكلِفُ الصَّبُّ
٥١ – فإن يُنْزِلْ الرحمنُ رحلِى بينهم   فحينئذٍ يَبْدُو التأسُّفُ والكرْبُ
٥٢ – فكم قائلٍ أغفلْتُه وهو حاضرٌ   وأطلبُ ما عنْه تجىءُ به الكُتْبُ
٥٣ – هنالِك يدْرى أن للبعدِ قصةً   وأن كسادَ العلمِ آفتُه القُرْبُ
٥٤ – فيا عجباً مَنْ غاب عنهم تَشَوَّفُوا   له ، وَدُنُوٌّ المرء من دارهم ذَنْبُ
٥٥ – وإن مكاناً ضاق عَنِّى لضيق   على أنَّه فِيحٌ مذاهبه سُهْبُ

---

(٤٤) بززته : علوته وفقته ، وهى فى (س) : بددته . والترب : المثيل ، واللدة ، والسن ، والمقصود هنا : متابعى .
(٤٦) الترائب : عظام الصدر ، والترب : المثل والسن .
(٤٧) يقصد أنه إن نام الناس وارتاحوا لم ينم .
(٤٩) النهب : الغنيمة ، والمعنى : عظمت غنيمة العلم .
(٥٠) أكناف العراق : نواحيه . صبابة : ميل وهوى . لا غرو : لا عجب .
(٥١) الكرب : الحزن يأخذ بالنفس .
(٥٣) يدرى : فى بعض المصادر : (تدرى للعبد غصة) .
(٥٥) فيح : واسع . سهب : سهلة واسعة . وفى (نفح الطيب) : مهامهه (بدل : مذاهبه) .

٥٦ – وإن رجالاً ضيعونى لضُيَّعٌ وإن زَمَاناً لم أَنَلْ خِصبَه جَدْبُ
٥٧ – ولو أننى خاطبْتُ فى الناسِ جاهِلاً لقيل : دعاوٍ لا يقومُ لها طُنْبُ
٥٨ – ولكننى خَاطَبْتُ أعْلَم مَنْ مَشَى ومَنْ كُلُّ عِلْمٍ فهو فيه لنا حَسْبُ
٥٩ – يصدقُنى فى وَصْفِه كُلُّ سامِعٍ يَقِيناً ولا يأْبَى لِسانٌ ولا قَلْبُ

* * * * *

---

(٥٦) الأبيات من (٤٨ – ٥٦) فى نفح الطيب (٨١/٢) ، ومن (٤٨ – ٥٣) فى الجذوة والبغية (٣٥٩) ، ومن (٥٠ – ٥٣) فى شرح مقامات الحريرى للشريسى (٦/٤) .

(٨)

« حديث عن النفس »

وقال رضي الله عنه :

١ – بلغتُ من لذة الدنيا ذُرَى أَرَبى   فى لذةِ العَيْشِ والسلْطَانِ والنَشَبِ
٢ – فأذهبتْ دولُ الأيامِ مَنْزلتى   وزاد فقدىَ اللذاتِ فى كَرَبى
٣ – وكان مالى لهذا كُلُّه تبعاً   بل صار عوناً لأعدائى على طَلَبى
٤ – لكن رجعت وقد جد الزمان إلى   كنز من العلم والأخلاق والأَدَبِ
٥ – فأعجز الدهرَ أن يودى بواحدةٍ   منها وأقصر عنِّى واهى السَّبَبِ
٦ – لا أختشى تضع الأيام منزلتى   مدى الزمان وعندى أغلَبُ الطَّلَبِ
٧ – لا يستطيعون عَزْلِىَ عن ولايتها   إذْ كُلُّ والٍ لهم بالعَزْلِ فى العُقُبِ
٨ – هذا بلا كُلْفةٍ مِنِّى ولا حرسٍ   ولا عديدٍ ولا إنفاقِ مكتَسَبِ
٩ – وكَم أخٍ لِىَ مُصْفٍ غيرِ مضطرِبٍ   لأن ما فيه آخى غيرُ مُضطَّرِبِ

---

(١) أربى : حاجتى . والنشب : المال .
(٢) كربى : غمى وحزنى .
(٣) كله : توكيد لمالى أو لا سم الإشارة . طلبى : أى النيل منى .
(٥) يودى : يميت ويقضى ، وفى (س) : يؤذى وهو خطأ .
والمراد بواهى السبب : السبب الضعيف ، من إضافة الصفة إلى الموصوف .
(٦) المراد : لا أخاف أن تؤثر الأيام على مكانتى ، لأن عندى أغلب ما يطلب .
(٧) العقب : العاقبة .
(٨) الكلفة : المشقة .
(٩) فى البيت تعليل حسن ، والمراد : لى كثير من الإخوان الأصفياء غير المضطربين فى صداقتهم ، لأن فيهم عهودا موثقة لا تنحل . والآخية : الطنب والحرمة والذمة ، وما تشد إليها الدابة . وبين ألفاظ الشطرين (أخ – آخى) جناس .

١٠ – وكل من كان فى دنياى يَصْحَبُنى ... نادَيْتُه حين خانتْنِى فلم يُجِبِ
١١ – كلامُ مَنْ جَرَّب الأمرين وانفتحتْ ... له المذاهبُ من جدٍّ ومن لَعِبِ
١٢ – أنا ابنُ من دَبَّر الدنيا بخاتَمه ... عشرين عاما وعشر بعد لم يَرِب
١٣ – وإن منزلتى فى العلم منزلةٌ ... فى الملك خَطٌّ كخَطِّ الصادقِ النَّسَب
١٤ – ما زلتُ أُدْخُره دهرى وأُنفقُه ... كفعله فى اللُّجَيْن المحْض والذَّهَبِ
١٥ – وإننى لبخيلٌ بالسلام إذا ... بخلتُ بالعلم مِنْ لَفْظى ومِنْ كتبى
١٦ – لو استطعت منحتُ الناس كُلَّهم ... ما قدْ تجمع فى حفْظى وفى كسَبى
١٧ – أأبذُل المالَ يُفنى البذلُ حاصلَه ... ولست أبذُلُ ما ينمى على النّهبِ
١٨ – وكيف أسترُ مُعْلِى رُتْبتى أبدا ... ومن يخلدُ ذِكْرِى آخرَ الحُقُبِ
١٩ – ومَنْ يكثِّرُ أهْلى ويجعلُنى ... صديقَ مَنْ شئتُ من عُجْمٍ ومن عَرَبِ
٢٠ – أنيسُ روحى إذا ما الدهر أوحشَنى ... ونورُ عقلى وجالى غُمةَ النكَبِ
٢١ – سائل بأىِّ علومِ العالمينَ تَجِدْ ... عندى ينابيعُ ذاكَ العلم مِنْ كتب
٢٢ – لا أنثنى لسوى البرهان أسألُهُ ... ولا إلى مقالِ الباحثِ اللجِب
٢٣ – لكن إذا أشكلت دنيا مُعَضِّلةٌ ... قابلتُها بسَنَا ذِهْنى وحسبُك بى !!

---

(١٤) اللجين : كزبير وزنا : الفضة .

(١٦) كسبى : رزقى .

(١٧) ينمى على النهب : أى يزيد العلم كلما أنفق منه . ومن كلام الإمام على كرم الله وجهه : « المال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق » .

(١٨) معلى رتبتى : رافع قدرى ومنزلتى .

(١٩) صديق من شئت : أى كل من علمته فأنت صديقه .

(٢٠) النكب : المصيبة .

(٢٢) أنثنى : أميل . اللجب : كثير الجلبة والصياح .

(٢٣) معضلة : مضيقة شاقة مرهقة . وسناذهنى : ضياء ونور عقلى . وحسبك بى : أنا كافيك ، وفيه إعجاب بنفسه ، وتلك عادته .

٢٤ – من فكرتى لى عينٌ لا تغيضُ ومنْ ماضى لسانى ما يمضى مضى الشُّهب

٢٥ – فإن أضفْتُ إلى ذا الحَظِّ من عملى شيئا أفوز به فى يوم مُنْقَلَب

٢٦ – فقد حصلْتُ على الآمالِ أجمعهــا وخاب من فى سوى ذا كان ذا تَعب

* * * * *

(٢٤) لا تغيض : لا ينفد ماؤها فهى مدرار .

(٢٥) يوم المنقلب : يوم القيامة .

(٩)

وقال رضى الله عنه « فى وصف يوم » : (الطويل)

١ – ويومٍ كحدِّ السيفِ ليس بثابتٍ عليه جليدٌ لا ولا متجلِّدُ
٢ – لقيتُ شباه وهو جَمرٌ مؤجَّجٌ وأقلعتُ عنه وهو فَخرٌ مُخَلَّدُ
٣ – أمورٌ كأمواجِ البحورِ تَصادمتْ عليهن سربالٌ من الليلِ أكْبَدُ
٤ – عبأْتُ له جسراً من الحزم محكماً ومصباحَ رأى نورُه يتوقَّدُ
٥ – فأنقذتُ غرقاها ونورت ليلَها وقربتُ منها كلَّ ما كان يَبْعدُ
٦ – سأفْنى فهلْ حى على الأرض خالدٌ وينقلُ عن يومى وعن أمسى الغدُ
٧ – أحاديثَ فى جِيدِ الزمانِ نظامُها ومنها على الدنيا نِثَارٌ مبدَّدُ

---

(١) ويوم : أى ورب يوم هذا حاله . والجليد : الشديد القوى . والمتجلد : من يظهر ذلك .

(٢) شباه : حده وناره . والجمر المؤجج : الموقد الذى ازداد توقده ، وفى (س) : خمر (بدل : جمر) . فخر مخلد : أى باق ملازم .

(٣) أكبد : شديد شاق .

(٤) عبأت له : تهيأت له وتجهزت بذلك . والحزم : ضبط الأمور وإحكامها .

(٥) فأنقذت غراقاها : فى (ط) : فأفقدت عزهاها ، وفى (س) : فأفقدت غرقاها . ولعل ما أثبتناه أولى بالسياق وأصح معنى .

(٧) أحاديث : إما أن تكون مفعول (ينقل) فى البيت قبله ، وإما أن ترفع على الاستئناف نثار مبدد : موزع مفرق .

٨ – لها غرة فى صفحة الدهر وَسْمُها وفى عاتِق الأيَّام سيفٌ مُقَلَّد

٩ – وطالبتُ نهجاً ليس يصحبنى به من الناسِ إلا الفَاضِلُ المتجلِّدُ

١٠ – فأَخْسِسْ بدينا نلْتُها ومشاركى لديها خِساسٌ فى القبائح وُرَّدُ

١١ – وأنْبِلْ بحالٍ أهلُها كُلُّ راغبٍ كِرَامَ المسَاعِى وهو فى الفضْل يزهدُ

* * * *

(٨) وسمها : علمها وشكلها . والعاتق : العنق .

(١٠) أخسس بدنيا : ذم لها على التعجب . ورد : أى كثير والورود للقبايح . وفى (س) : درد ، والمعنى : هم درد ، أى ذهبت أسنانهم لكبر السن ، ومع ذلك لا ينتهون عن القبايح . والراجح الأول ، لذلك اخترناه بدليل مقابلة البيت الثانى لهذا البيت .

(١١) كرام المساعى : بالنصب مفعول (راغب) ، ويجوز الرفع : خبر ثانٍ ، والأول أولى ، حتى لا تطلق الرغبة فتكون ذما . ويزهد : بمعنى يرغب لأن زهد من الأضداد .

(١٠)

وقال رضى الله عنه « فى وصف صديق » : (البسيط)

١ – لم أشك صَدًّا ولم أُذْعَرْ بهجران ... ولا شعرتُ مدَى دهْرى بِسُلْوان
٢ – أسماءُ لم أدْر معناها ولا خطرت ... يوما علىّ ولا جالتْ بمَيْدانى
٣ – لكنّما دائِيَ الأدْوى الذى عَصَفتْ ... علىَّ أرواحُه قِدْماً فأعْيَانى
٤ – تفرَّقَ لم تزلْ تسرى طوارِقُه ... إلىّ بجامع أحبابى وخِلّانى
٥ – كأنما البينُ بى يأتمُّ حيث رأى ... لى مذهبا فهو يبْلُونى ويَغْشانى
٦ – قد كنت أحسب عندى للنَّوى جلدا ... إذا عَنَى فى بوادِى شجوها العانى
٧ – فقابلتْنى بألوان غدوْتُ بها ... مقابَلًا من صبَابَاتى بألْوان
٨ – بالله أُنْسَى أخا لِيَ قد لِهجَتُ به ... نفسى تحدثُنى أن ليس ينسانى
٩ – فإن يكن فيه ظنى صادقاً فلقد ... عهدتُ ظنّى قديما غير خَوَّان
١٠ – هذا على قسمةِ الأيام ليس على ... أنّى أخاف عليه طَبْع نِسْيانِ

---

(١) أذعر : أخوَّف . السلوان : الحزن والنسيان .
(٢) جالت : تحركت .
(٣) الداء الأدوى : المعجز . أرواحه : رياحى . أعيانى : أعجزنى .
(٤) تفرق : فى (ط ، س) : تفرق ، على أنه فعل ، ويجوز أن يكون اسما على أنه خبر : (دائى) فى البيت قبله . والطوارق : جمع طارق ، وهو الآتى ليلا ، والضارب بالحصى .
(٥) البين : البعد والفراق . يبلونى : يختبرنى وينالنى .
(٦) عنى : حبس ، وخضع ، والعانى : الخاضع ، والعبد . الشجو : الهم والحزن .
(٧) صباباتى : يقصد فتوته ولهوه ، والصبوة : جهلة الفتوة واللهو من الغزل .
(٨) لهجت به : أولعت به .

١١ – قد كنت ألقى زمانى منه مُدَّرعاً على تَغَوُّل أيامى وأزمانى
١٢ – درعاً يقول الردَى من أجْلِها حَذَرًا ما شأنُك اليوم ياهذا وما شانى؟
١٣ – فالآن أظلمتْ الدنيا لغيبته فالليلُ عندى وغير الليل سِيَّانِ
١٤ – وحُقَّ لى ذاك إذْ فى كل شارقةٍ كانت تلُوحُ لعينى منه شمْسان
١٥ – فالآن أعْدَمنى أضواهُما قدرٌ يرى بأحكامه فينا الجديدان
١٦ – لكننى قائل قولا يحقّق كُلُّ البرية عن نور وبرهــان
١٧ – عجبت منّى إذا أشكو تَوحُّشَــه وأسفح الدمع سَحًّا غير ضنَّانِ
١٨ – ووجُهه نُصْبَ عَيْنى ما يفارقنى وطيفُه مؤنسى فى نصفِه الثانى
١٩ – ومهجتى عنده والقلبُ مسكَنُه هذا وجدُّك عينُ الحاضر الدانى
٢٠ – وشخصه قائلٌ فى ناظرى أبداً وفى ضميرى إذا ما غِبْنَ أجفانى
٢١ – أدعوه دعوة مرتاح لرؤيته حسْبَ ارتياحى له إذْ كان يلقانى
٢٢ – ياعذرَ دهرى من ماضى إساءته ومَنْ تساوَى وَليِّ فيه والشَّانى
٢٣ – كلاهما حاسدٌ لى من أُخُوَّتِه على عُلَا الدهر موصولًا برضوان
٢٤ – قد كان منك فؤادى حاسدا بصرى والآن يحسد فيك القلبَ عينان

---

(١١) مدرعا : مستتراً به مترسا . والتغول : الاغتيال وهو الإهلاك .
(١٢) الردى : الهلاك .
(١٤) شارقة : شروق . تلوح : تظهر .
(١٥) أضواهما : أشدهما ضوءا ، وفاعل أعدم هو : (قدر) . والجديران : الليل والنهار .
(١٦) قائل : بالرفع خبر (لكن) ، وفى (ط) : قائلا ، وهو خطأ .
(١٧) ضنان : أى شحيح وبخيل بالوصل . وأسفح : فى (ط) : أسفخ .
(٢٢) الشانى : المبغض .
(٢٣) علا : فى (س) : غلا .

٢٥ – حتى لقد صارَ دهرى فيك يحسُدنى فبانَ عنى مغلوباً وأَنْـآنى
٢٦ – عَذرْتُ فيك لعمرى كُلَّ ذى حَسَدٍ مَنْ ليس يحسد فى دنيا سليمان !!
٢٧ – وَحُقَّ لى عذرُهم إذا صرتُ أعرفُ مقْدَارَ الذى منك كان اللهُ أوْلَانى
٢٨ – لقد حبَانىَ حظا من إخائك لا يُجْزَى بسترٍ ولا يُلْقَى بكفران
٢٩ – لو كانت الأرض حاشاه ما غنيتْ رُوحى وإنِّى به عن غيره غانى
٣٠ – شخصٌ نفيسٌ خطيرٌ لو بدلْتُ به نفسى أخذتُ الذى يبقى على الفانى
٣١ – ذاك الذى لستُ أدْرِى ما أقابِلُه به من الشك فى سرى وإعْلانى
٣٢ – واسلم ودُمْ لىَ فى عز وفى دَعَةٍ مالَاحَ فى اللُّجَّة الخضراءِ بنَجْمَانِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلاته على محمد عبده ورسوله ، وعلى آله وعترته الطاهرة .

* * * *

---

(٢٥) أنآنى : أبعدنى .
(٢٦) دنيا : فى (ط) : الدنيا .
(٢٧) أولانى : أعطانى .
(٢٨) حبانى : منحنى ، وهى فى (ط) : صبانى .
(٢٩) حاشاه : غيره . غانى : أى مكفى به عن غيره فهو حسبى .
(٣٠) نفيس : عزيز كريم .
(٣٢) دعه : راحة وعافية . اللجة الخضراء : السماء ، والمراد طيلة هذه الحياة .

منثورات متفرقة من شعر ابن حزم
(فى بطون الكتب)

(١١)

من ذلك قوله :

١ – أبت عن دنى الوصف ضربة لازب   كما أبت الفعلَ الحروفُ الخوافضُ

(من كتاب : أعراف فى الشعر العربى : ٧)

(١٢)

أحرق المعتمد بن عباد والى إشبيلية بعد موت أبيه كتب ابن حزم عندما أثر الفقهاء الحانقين على ابن حزم عليه ، فارتكب هذه الفعلة المنافية للرأى الحر ، واحترام كرامة العقل .

(١١) (١) أى كما امتنع دخول حروف الخفض على الفعل امتنعت هى عن دنىء الوصف .

ولكن تلك الحادثة لم تضعف من عزيمة ابن حزم ، بل قابلها بقوله :

١ – فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى
٢ – يسير معى حيث استقلت ركائبى وينزل إن أنزل ويدفن فى قبرى
٣ – دعونى من إحراق رمد وكاغد وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
٤ – وإلا فعودوا فى المكاتب بدأة فكم دون ما تبغون لله من ستر

(نفح الطيب ٢/٨٢ – والأول والثالث فى ٣/١٩٢)

(١٣)

ويقول فى رثاء صديقه أبى عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمى المعروف بابن الطبنى :

١ – لئن سترتْك بطونُ اللحــود فوجدى بعدك لا يستتــر
٢ – قصدتُ ديارك قصد المشــوق وللدهر فينا كرور ومــر
٣ – فألفيتها منــك قفرا خــلاء فأسكبت عينى عليك العبــر

(ابن حزم : د. عويس ، عن « المقتبس » : ١٥٤ ، ١٥٩)

---

(١٢) (١) فى رواية : (إن) بدون الفاء . وفى « نفح الطيب » البيت (٣) هو البيت الأول .

(٢) فى رواية :
... حيث ارتحلت وإن أقــم أقام معى حتى أغيب فى قبرى

(٣) فى رواية :
... من إحراق كتب ودونكــم حجاج فقيه كى يرى الناس من يدرى

(٤) فى رواية :
ولا تطلبوا من سائر الناس عورة فكم دون ما تبغون لله من ستر
(مقدمة « الفصل » ٦ – ط صبيح) .

(١٤)

وقال فى (رسالة الرد على الهاتف) ، ولم ينسبه لأحد فقرب أن يكون لنفسه :

عوى ليروع البـــدرا وما كلب وإن نبحـــا

(الرسائل : ١٢٣/٣)

(١٥)

وورد برسالة التوقيف على « شارع النجاة » :

وما هذه الدنيا سوى كر لحظة يعد بها الماضى وما لم يحن بعد
هى الزمن الموجود ولا شىء غيره وما مر والآتى عديمان يا دعد

(الرسائل : ١٣٢/٣)

(١٦)

قال أبو محمد العثمانى : أنشدنى أبو نصر سهل بن على النيسابورى الحقوانى قال : أنشدنا أبو الفتح نصر بن الحسن ، أنشدنا العباس العذرى ، قال : أنشدنا أبو محمد ابن حزم الحافظ لنفسه :

ولما رأيتُ الشيب حل مفارق نذيرا بترحال الشباب المفارق
رجعت إلى نفسى فقلت لها انظرى إلى ما أتى هذا ابتداء الحقائق
دعى دعوات اللهو قد فات وقتها كما قد أفات الليل نور المشارق
دعى منزل اللذات ينزل أهله وجدى لما ندعى إليه وسابقى

(نفح الطيب : ٦٧/٣ . ت د . إحسان عباس)

(١٧)

قال ابن سعيد فى حق ابن حزم ما ملخصه[١] :

« وصله من ابن عمه أبى المغيرة[٢] رسالة فيها ما أوجب أن جاوبه بهذه الرسالة ، وهى :

سمعت وأطعت لقوله تعالى : ﴿ **وأعرض عن الجاهلين** ﴾ [الأعراف : ١٩٩] ، وأسلمت[٣] وانقدت لقول نبيه عليه الصلاة والسلام : « **صل من قطعك ، واعف عمن ظلمك** » ، ورضيت بقول الحكماء : **كفاك انتصارا ممن تعرض لأذاك إعراضك عنه** ، وأقول :

١ - تَتَبَّعْ سواىَ أمرأً يبتغى سبابَك إنَّ هواكَ السبابُ
٢ - فإنى أبيت طلاب السفــاه وصُنْتُ مَحَلِّىَ عما يُعابُ
٣ - وقل ما بدا لك من بعد ذا وأكْثِر فإن سكوتى خطــاب

وأقول :

---

(١) فى « الذخيرة » و « المغرب » : تبغَّ . وفى « المغرب » وأكثر فإن سكوتى خطاب .

(٢) فى « لسان الميزان » لابن حجر : وكان لابن عم ابن حزم يقال له عبد الوهاب ابن العلاء بن سعيد بن حزم يكنى أبا العلاء ، وكان من الوزراء وبينهما منافسة ومخالفة فوقف على شىء من تواليف أبى محمد فكتب إليه رسالة بليغة يعيب ذلك المؤلف .. قال فكتب أبو محمد له الجواب ونصه .

(٣) فى « اللسان » : وسلمت وانقدت لقول رسول الله ﷺ .

كفانى بذكر الناس لى ومآثرى   ومالَكَ فيهم ياابن عمى ذاكرُ
عدوى وأشياعى كثير كذاك مَنْ   غدا وهو نفّاع المساعى وضائــر
وإنى وإن آذيتنى وعققتنى   لمحتمل ما جاءنى منـك صابر[1]

(المغرب : ٣٥٦/١ – نفح الطيب : ٧٩/٢ ، ٨٠ ت إحسان عباس . دار صادر بيروت)

فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعته : قرأت هذه الرقعة العاقة فحين استوعبتها أنشدتْنى :

نحنـــح زيد وسعـــــل   لما رأى وقـــع الأســل

فأردت قطعها ، وترك المراجعة عنها ، فقالت لى نفسى : قد عرفت مكانها بالله لاقَطَعَتْها إلا يده ، فأثبت على ظهرها ما يكون سببا إلى صونها ، فقلت :

نَعقت ولم تدر كيفَ الجـواب   وأخطأت حتى أتـــاك الصواب
وأجريت وحدك فى حلبة   نـــأت عنك فيها الجيـاد العراب
وبتَّ من الجهـــل مستنبِحـاً   لغير قرىً فأتتْك الذئـــاب
فكيف تبينْتَ عُقْبى الظلـــوم   إذا ما انقضت بالخميس العقاب
لعمرك ما لى طبـــاعٌ تذَمّ   ولا شيمـةٌ يومَ مَجْدٍ تُعَـاب
وأنيـــلُ المنى والظُّبىَ سُخَّط   وأُعْطى الرضا والعوالى غضاب

وأقـــول :

---

(١) الأبيات فى « لسان الميزان » (٢٠١/٤) :

كفانى ذكر الناس لى ولما ترى   ومالك فيهم يا ابن عمى ذاكر
ومالك فيهم من صديق فتشتفى   ومالك فيهم من عدو تذاكر
وقولى مسموع له ومصدق   وقولك منبث مع الريح طائر

وغاصب حق أو بقته المقـــادر يذكرنى حاميم والرمح شاجـــر
غدا يستعير الفخر من خيم خصمه ويجهل أن الحق أبلج ظاهر
ألم تتعلم يا أخا الظلم أننى برغمك ناه منذ عشر وآمـــر
يذل لى الأملاك حُرَّ نفوسهـــا وأركب ظهر النسر والنسر طائر
وأبعث فى أهل الزمان شوارداً تلينهم وهى الصعـاب النوافـر
فإن أثْوِ فى أرض فإنى سَائر وإن أنْأ عن قوم فإنى حاضـــر
وحسبك أن الأرض عند خاتـــم وأنك فى سطح السلامة عاثـر
ولا لوم عندى فى استراحتك التى تنفست عنها والخطوب فواقـــر
فإنى للحلف الذى مر حافـــظ وللنزعة الأولى بحاميم ذاكـــر
هنيئـــا لكل ما لديه فإننا عطية من تبلى لديه السرائـــر
(نفح الطيب : ٢/٨٠ ، ٨١)

وأرجح أن تكون هذه الأبيات (لأبى المغيرة ابن عم ابن حزم) فليست فيها روح ابن حزم أبو محمد - والسياق يؤذن بأنها من كلام (أبى المغيرة) .

(١٨)

ولابن حزم أيضا قوله :

لا تلمنى لأن سبقـــةَ لحظ فات إدراكُها ذوى الألباب
يسبق الكلب وثبة الليث فى العد ويعلو النُّحَــالُ فوق اللباب
(نفح الطيب : (٢/٨٤ و ٤/١١٨) ، والتكملة : (٨٧٥))

(١٩)

وحكى أن الحافظ أبا محمد بن حزم قصد أبا عامر بن شهيد فى يوم غزير المطر والوحل ، شديد الريح ، فلقيه أبو عامر ، وأعظم قصده على تلك الحال ، وقال له : ياسيدى ، ومثلك يقصدنى فى مثل هذا اليوم !! فأنشده أبو محمد ابن حزم بديها :

فلو كانت الدنيا دوينك لجـــة　　وفى الجو صعق دائم وحريق
لسَهَّـلَ وُدِّى فيك نحوك مَسْلكا　　ولم يتعذرْ لى إليك طريق

(نفح الطيب : ٨٣/٢)

(٢٠)

وله أيضـــا :

١ - لا تشتمن حاسدى إن نكبة عرضت　　فالدهر ليس على حال بمترك

---

(١) فى « نفح الطيب » : لا يشتمن . والبيت الثانى :

ذو الفضل كالتبر يلقى تحت متربة　　طورا وطورا يرى تاجا على ملك

وفى « الجذوة » :

ذو الفضل كالتبر طورا تحت ميقعة　　وتارة فى ذرى تاج على ملك

وفى « شرح مقامات الحريرى للشريسى » (٢٦٦/٥) :

فالحر كالتبر يلقى تحت منقعة　　طورا وطورا يرى تاجا على ملك

٢ - ذو الفضل كالتبر طورا تحت ميقعة   وتارة قد يرى تاجاً على ملك

(جذوة المقتبس : (٣١٠) ، ومعجم الأدباء : (٢٤٦/١٢) ، ونفح الطيب (٨٢/٢))

(٢١)

ومن شعر أبي محمد ابن حزم :

أنا العلق الذى لا عيب فيه   سوى بلد وأنى غير طارى

تقر العـــراق ومن يلهـــا   وأهل الأرض إلا أهل دارى

طووا حسدا على أدب وفهـــم   وعلم ما يشـــق له غبـــارى

فمهما طار فى الآفـــاق ذكرى   فما سطح الدخان بغير نـــارى

(معجم الأدباء : ٢٤٦/١٢)

(٢٢)

ومما أنشده لنفسه :

من عذيرى من أناس جهلُوا   ثم ظنوا أنهم أهل النظـرْ

وطريق الحق نهج مهيـــع   مثل ما أبصرت فى الأفق القمـــرْ

فهو للإجمـــاع والنص الذى   ليس إلا فى كتاب أو أثر

(الوافى بالوفيات : ٣١١/١) أثناء ترجمة ابن سيد الناس و (غيث الأدب : ٥٥/١) .

وقد نقلناها عن طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكى (٢٨٥/٩) .

(٢٣)

وقال الحميدى : أنشدنى أبو محمد على بن أحمد بن حزم :

إن كانت الأبدان بائنـــةً فنفوسُ أهـــلِ الظرف تأتلـفُ
يارُبَّ مُفْتَرِقَيْن قد جمعتْ قلبيْهما الأقلامُ والصحـفُ

الوفيات : (٣٢٧/٣) – ت : د . إحسان عباس)

(٢٤)

وله فى غلام ناحـــل :

وإن غصنا أبدا لا تزول عليه شمس لحـــر بالذبول
(المغرب : ٣٥٦/١)

وله من قصيدة :

منالى من الدنيا علوم أبثها وأنشرها فى كل باد وحاضر
دعاء إلى القرآن والسنن التى تناسى رجال ذكرها فى المحاضر
(البغية ، والصلة (٤١٧/٢) ، وجذوة المقتبس للحميدى (٣١٠))

---

(٢٥) فى « الصلة » : مناى ، و « بالجذوة » : تأسى ، وبهامش « الصلة » : تناسى .

(٢٦)

وقال الحميدى : وأنشدنى لنفسه ، وأنا سألته :

أبن وجه قول الحق فى نفس سامع ودعه فنور الحق يسرى ويشرق
سيؤنسه رفقا فينسى نفاره كما نسى القيد الموثق مطلق
(جذوة المقتبس : ٣١٠)

(٢٧)

قال رحمه الله :

كأنك بالزوار لى قد تبادروا وقيل لهم أودى على بن أحمد
فيارب محزون هناك وضاحك وكم أدمع تزرى وخد محدد
عفا الله عنى يوم أرحل ظاعنا عن الأهل محمولا إلى ضيق ملحد
وأترك ما قد كنت مغتبطا به وألقى الذى آنست منه بمرصد
فواراحتى إن كان زادى مقدما ويانصبى إن كنت لم أتزود
(معجم الأدباء لياقوت ٢٥٣/١٢ ، ٢٥٤)

(٢٨)

وقال رحمه الله يعرض بمذهبه :

١ – وذى عذل فيمن سبانى حسنُه ... يُطيل ملامى فى الهوى ويقولُ
٢ – أفى حسن وجه لاح لم تر غيره ... ولم تدر كيف الحسن أنت قتيلُ
٣ – فقلت له أسرفت فى اللوم ظالما ... وعندى رد لو أردت طويلُ
٤ – ألم تر أنى ظاهرى وأننى ... على ما بدا حتى يقوم دليل

(نفح الطيب : (٨٢/٢) و(معجم الأدباء : ٢٤٣/١٢ ، ٢٤٤) و (المغرب : ٣٥٦/١) و (الوفيات : ٣٢٧/٣ (و (شذرات الذهب : ٣٠٠/٣) .

---

(٢٨) (١) ذى عذل : صاحب لوم . سبانى : أسرنى . فى « الشذرات » : وذو ، وبحسنه .

(٢) فى « نفح الطيب » : أمن أجل وجه ، والجسم (بدل : الحسن) ، وعليل (بدل : قتيل) . وفى « معجم الأدباء » : أمن حسن .

(٣) فى « نفح الطيب » : فاتئد (بدل : ظالما) ، فعند (بدل : وعندى) ، ولو أشاء (بدل : لو أردت) . (نفح الطيب : ٨٢/٢) .

(٤) فى « هامش الوفيات » ذكر محققه :ض
« حاشية س : ليست هذه الأبيات لأبى محمد رحمه الله بل لرجل آخر من ذريته . اهـ »

(٢٩)

وقال يصف فجائع الدهر ويذكر المعاد :

١ - هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا فجائعه تبقى ولذاته تفنى
٢ - إذا أمكنت منه مسرة ساعة تولت كمر الطيف واستخلفت حزنا
٣ - إلى تبعات فى المعاد وموقف نود لديه أننا لم نكن كنـا
٤ - حصلنا على هم وإثم وحسـرة وفات الذى كنا نلذ به عنا
٥ - حنين لما ولى وشغل بما أتى وغم لما يرجى بعيشك لا تهنا
٦ - كأن الذى كنا نسر بكونه إذا حققته النفس لفظ بلا معنى

(الجذوة : ٣٠٩ ، وبغية الملتمس : ٤١٦ ، ومعجم الأدباء : ٢٤٤/١٢)

* * * *

(٢٩) (١) قال الحميدى وغيره : وأنكرنا (بدل : أدركنا) .
(٢) فى معجم الأدباء : فيه (بدل : منه) .
(٤) فى معجم الأدباء : عنا (بدل : منا) .

(٣٠)

وقال فى الإخوانيات :[1]

لئن أصبحت مرتحلًا بجسمى فروحى عندكم أبدا مقيمُ
ولكن للعِيَان لطيفُ معنى له سأل المعاينةَ الكليمُ

(البغية والوفيات : ١٤/٣ ، والجذوة : ٣١٠ ، ونفح الطيب : ٨٢/٢ ، ومعجم الأدباء : ٢٤٦/١٢) .

(٣١)

وفى هذا المعنى يقول أيضا :[2]

يقول أخى شجاك رحيل جسم وروحك ماله عنا رحيل
فقلت له المعاين مطمئن لذا طلب المعاينة الخليل

(بغية الملتمس والجذوة : ٣١٠ ، والمغرب : ٣٥٦/١ ، والوفيات : ١٤/٣) .

---

(٣٠) فى « نفح الطيب » : شخصى (بدل : جسمى) ، وقلبى (بدل : روحى) .

(٣١) فى « المغرب » : لذا سأل (بدل : طلب) . وهذان البيتان ملفقان من أربعة أبيات فى الذخيرة . وهما موجودان بشرح مقامات الحريرى للشريسى (٣٧٧/٥) ، وانظر : شذرات الذهب (٣٠٠/٣) .

(٣٢)

وقال فى الفراق بعد التلاقى :

أقمنا ساعة ثم ارتحلنا وهل يغنى المشوق وقوف ساعة
كأن الشمل لم يك ذا اجتماع إذا ما شتت البين اجتماعه

(الوفيات لابن خلكان : ١٤/٣ ، شذرات الذهب (٣٠٠/٣ نقلاً عن الحميدى) .

(٣٣)

وقال فى الرد على من زعم أن الأمم تخدم يعقوب وبنيه :

قد حصلت على الصغار يقينا والأمانى بضائع السخفاء

(٣٤)

وقال :

ترجى ربيع أن ستحيا صغارها بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

(٣٥)

وقال :

تمن يلذ المستهام بمثله وإن كان لا يغنى فتيلا ولا يجدى
وغيظ على الأيام كالنار فى الحشا ولكنه غيظ الأسير على القد[*]

(*) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (١٠٨/١ ، ١٠٩) ط . صبيح ويظهر أن هذه الأبيات للاستشهاد بها وليست من شعره .

(٣٦)

وقال :

أعجب ما فى خالد وجهه ... فقس على الغائب بالشاهد

(الفصل ٢/ ١٢)

(٣٧)

ومما قاله فى الأخلاق :

إنما العقل أساس ... فوقه الأخلاق سور

فتحل العقل بالعلـ ... ـم وإلا فهو بور

جاهل الأشياء أعمى ... لا يرى حيث يدور

وتمام العلم بالعدْ ... لِ وإلا فهو زور

وتمام العدل بالجو ... د وإلا فيجور

وملاك الجود بالنجـ ... ـدة والجبن غرور

عف إن كنت غيورا ... مازنى قط غيور

وكمال الكل بالتقـ ... ـوى وقول الحق نور

ذى أصول الفضل عنها ... حدثت بعد النزور

* * * *

(٣٨)

ومما قاله أيضا :

زمـــام جميع الفضــــــائل عدل وفهم وجود وباس
فمن هذه ركبت غيرها فمن حــازها فهو فى الناس راس
كذا الراس فيه الأمور التى بإحساسها يكشف الالتباس

(رسائل ابن حزم : ١/٣٨٠)

هذا ما تيسر جمعه من ديوان ابن حزم ،
وشعره المتناثر
فى بطون
الكتب

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحــات

د . صبحي رشاد عبد الكريم

* * * *

قصيدة في أصول مذهب أهل الظاهر رضى الله عنهم[1]

قال الإمام الجليل أبو محمد ابن حزم ــ رحمه الله تعالى ــ :

تَعدَّى سبيلَ الرُشْدِ مَنْ جَارَ واعْتَدى== وضَاءَ لَهُ نُورُ الهُدى فَتبَلَّدا

وخَابَ امرؤٌ وافاهُ حُكْمُ مُحمّدٍ ===== فَقَالَ بآراءِ الرِّجالِ وقَلَّدا

نَبيٌّ أَتَى بالْنُورِ مِنْ عِنْدِ رِبّهِ ==== وما جاءَ مِنْ عِنْدَ الإلهِ هُو الهُدى

أَرَى النَّاسَ أَحْزاباً وَكُلٌ يَرَىَ الَّذي = يجيء بِهِ الْمُنْجي وسائِرُهُ الرِّدى

وألْقَوْا كِتَابَ الله خَلفَ ظُهُورِهِم === وقَولِ رَسُولِ الله ويْلَهُمُ غدَا !

وقَالُوا : بأَنِّ الدّينَ لَيْسَ بكَامِلٍ ! === وكَذَّبَ مَا قَالُوا الإلهُ وَفَنَّدَا !

وَمَا فَرَّطَ الْرَحْمَنُ شَيْئًا وَلَمْ يَكُنْ ==== نَسيًّا وَلَمْ يَتْرُكْ بَرِيَّتَهُ سُدَا

وَقَدْ فَصَّلَ التَحْرِيمَ والحلَّ كُلَّه ===== وَبَيَّنَ أَحْكَامَ العَبادِ وَسَدَّدَا

وَعَلَّمَ وَجْهَ الحُكْمِ فيمَا اعْتَدَوْا بِهِ == وَنَصَّ عَلَيْهِ الحُكْمَ نَصًّا وَرَدَّدَا

وَلَمْ يَتَعَبَّدْنَا بِعَنْتٍ وَلَمْ يُرِدْ ======== يُكَلفنا مَا لا نُطيقُ تَعَبُّدَا

وَحَرَّمَ قَوْلَ الظَّنِّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ = وَأَنْ تَقْتَفِي مَا لَسْتَ تَعْلَمُ مَوْعِدَاَ !

أَخي عَدِّ عَنْ سُبْلِ الضَلالِ ! فَإِنَّني = رَأَيْتُ الهُدَى أَهْدَى دَليلاً وَأَرْشَدَا

وَدَعْ عَنْكَ آراءَ الرِجالِ وَقَوْلَهُمْ = وخُذْ بِكِتَابِ الله نَفْسي لَكَ الفدَا !

وقُلْ لِرَسُولِ الله : سَمْعًا وطَاعَةً ==== إِذَا قالَ قَوْلاً أَوْ تَيمّمَ مَقْصدَا

أَوَامِرُهُ حَتْمٌ عَلَيْنَا وَ نَهْيُهُ ======== تُلافيهِ بالإقْلاعِ عَنْهُ مُجَرَّدَا

حَرَامٌ وَفَرْضٌ طَاعَةٌ قَدْ تَيَقَّنَتْ == وَمَنْ تَرَكَ التَخْييرَ وَالوَقف سَدَّدا

فإنْ لاحَ بُرْهَانٌ يُبَيِّنُ أَنَّهُ ====== عَلَى غيرِ ذَا صِرْنَا مَعًا للَّذي بَدَا

وأَفْعَالُهُ اللائي تُبَيِّنُ وَاجبًا ===== مِنَ الله فَاحْمِلْهَا عَلَيْهِ وَمَا عَدَا

على أُسْوةٍ لا زِلْتُ مُؤْتَسياً بِهِ == وَلَيْسَتْ بِفَرْضٍ وَالسَعِيدُ مَنْ اقْتَدَا

وَإِقْرَارُهُ الأَفْعَالَ مِنْهُ إِبَاحةٌ ====== لَهَا فَمُحَالٌ أَنْ تُقَرَّ مَنْ أَفْسَدَا

وَمَا صَحَّ عَنْهُ مُسْنَدًا قُلْ بِنَصِّهِ == وَإِيَّاكَ لا تَحْفَلْ بِمَا لَيْسَ مُسْنَدَا

[1] هذه القصيدة ليست فى الديوان وإنما أضفتها جمعاً لشعر الامام من مصادره المختلفة

وَسَوِّ كِتَابَ اللهِ بالسُنَّة الَّتِي == أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو منَ الرَّدَى
سَوَاءٌ أَتَتْ نَقْلَ التَوَاتُرِ أَوْ أَتَتْ = بِمَا قَدْ رَوَى الآحَادُ مَثْنَى وَمَوْحِدا
وَقُلْ : إنَّهُ عِلْمٌ وَلا تَقُلْ إنَّهُ == منَ الظَّنِ لَيْسَ الظَّنُّ منْ دِينِ أَحْمَدَا
فَكُلٌّ منَ الوَحْيِ المُتَزَّلِ قَدْ أَتَى == عن اللهِ إنَّ الذِكْرَ يُحْفَظُ سَرْمَدَا
وخُذْ ظَاهِرَ الأَلْفَاظِ لا تَتَعدَّهَا ===== إِلَى غَايَةِ التَأْويل تَبْقَ مُؤَيَّدا
فَتَأْويلُها تَحْريفُها عَنْ مَكَانِهَا = وَمَنْ حَرَّفَ الالْفَاظَ حَادَ عَنِ الهُدَى
فَإنْ جَاءَ بُرْهَانٌ بِتَأْويلِ بَعْضِهَا === فَأَلْقِ إلَى الحَقِّ الَّذي جَاءَ مَقْلَدَا
وَكُلُّ عُمُومٍ جَاءَ فَالْحَقُّ حَمْلُهُ ==== على مُقْتَضَاهُ دُونَ أَنْ تَتَرَدّدا
وَإِنْ جَاءَ بالتخصيصِ نَصٌّ فُخُصَّه == به وَحْدَهُ واحْذَرْ بِأَنْ تَتَزَيَّدا !
وأَخْرِجْ قَلِيلاً منْ كَثِيرٍ وَإِنْ بَدَتْ = مُعَارَضَةٌ فَاشْدُدْ عَلَى الزَّائد الْيَدَا
وَإِنْ صَحَّ مَا بَيْنَ النُّصُوصِ تَعَارُضٌ = فَمَنْسُوخُهَا مَا جَاءَ مِنْهُنَّ مُبْتَدَا
وَإِنْ عُدِمَ التَّارِيخُ فِيهَا فَخُذْ بِمَا = يَزِيدُ عَلَى المَعْهُودِ فِي الأَصْلِ تَرْشُدَا
تَكُنْ مُوقِنًا أَنْ قَدْ أَطَعْتَ وَتَارِكًا === لِكُلِّ مَقَالٍ قيلَ بالظَّنِّ مُبْعَدَا
وَكُلُّ مُبَاحٍ فِي الكتابِ سوى الَّذي === يُفَصّلُ بالتَّحْرِيمِ منْهُ مُعَدَّدا
وَإِنْ لَمْ يَرِدْ نصٌّ بِإِلْزامِ طَاعَة ===== منَ اللهِ لَمْ يَلْزَمْكَ أَنْ تَتَعَبَّدَا
وَعِنْدَ اخْتِلافِ النَّاسِ فَالحُكْمُ رَاجعٌ = إِلَيْه وَبِالْإِجْمَاعِ مِنْ بَعْدُ يُهْتَدَا
وَذَاكَ سَبِيلُ المُؤْمنينَ وَمَنْ يُرِدْ == خلافَ سَبِيلِ المُؤْمِنينَ فَمَا اهْتَدَى
وَلا تَدَّعِ الإِجْمَاعَ فِيمَا جَهِلْتَهُ == وَلَمْ تَعْلَمِ التَّحْقِيقَ جَمْعًا وَمُفْرَدا
وإِنْ امرُؤٌ فِي الدِّينِ حَكَّمَ نَفْسَه = قِيَاسًا أَوْ اسْتِحْسَانَ رَأْيٍ قَدْ اعْتَدَى
وَجَاءَ بِدَعْوَى لا دَلِيلَ يُقِيمُهَا ==== وأَسْرَفَ فِي دِينِ الإِله وأَلْحَدَا
ومَنْ قَالَ مُحْتَاطًا بِرِدْعِ ذَرِيعَةٍ === بِرأْيٍ رآهُ قَدْ أَتَى اللَّهوَ وَالرَّدَا
مُحِلَّ حَرَامٍ أَوْ مُحَرِّمَ مَا أَتَى ===== بِتَحْلِيله مخطي الكِتَابِ تَعَمُّدَا
وَمَنْ يَدَّعِ نَسْخًا على الحُكْمِ لَمْ يَجِيءْ = على ذَاكَ بالبُرْهَانِ لَيس مُفَنّدَا
ولا تَنْتَقِلْ عَنْ حَالِ حُكْمٍ عَلمْتَه = لِقَوْلٍ عَنِ الإِجْمَاعِ والنَّصِّ جُرِّدَا

مِنَ الْحِلِّ والتَّحْرِيمِ أَوْ مِنْ لَوازِمٍ = عَلَيْكَ فلا تَعْدُ السّبِيلَ الْمُمَهَّدَا

ولا تَلْتقِفْ حُكْمَ البلادِ وَجَرْيَهَا === عَلَى عَمَلٍ ممَّنْ أَغَارَ وَأَنْجَدَا

وَإِنْ لَمْ تَجِدْ نَصًّا على الحُكْمِ فَالْتَمِسْ = إِلى قَصْدِهِ جَمْعَ النُّصُوصِ لِتَرْشُدَا

فَتَمْنَحَ حُكْمًا بَيْنها قَدْ جَعلْتَهُ === وَتَجْمَعَ شَمْلاً كَانَ مِنْهَا مُبَدَّدَا

وَذَاكَ عَلَى مَعْنَاهُ نَصٌّ وَإِنَّهُ ==== لَحقٌّ كَمَا لَوْ كَانَ نَصًّا مُجرَّدَا

وَهَذَا الذي يُدْعَى اجتهادًا ولَيْسَ ما == تَقُولُ أُلو الآراءِ مِنْهَا تَلَدُّدَا

وَأَثْقَلَهُمْ جَمْعُ النُصُوصِ فَاظْهَرُوا = عَلَى الدِينِ نُقْصَانَ النُصوصِ تَبَلُّدا

وَقَالُوا : لَنَا إِكْمَالُهُ وَتَمَامُهُ ! === تَبَارَكْتَ رَبِّي أَنْ تَكُونَ مُفَنَّدَا !

وَقَدْ قُلْتَ : إِنَّ الدِّينَ أَكْمَلْتَهُ لَنَا = وَفصَّلْتَهُ والحَقُّ ما قُلتَ أَمْجَدَا

ولا تَلْتَفِتْ عِنْدَ الخطَابِ دَلِيلَهُ = ولا تَلْتَزِمْ شَرْعًا سِوَى شَرْعِ أَحْمَدَا

فَكُلُّ نَبيٍّ خَصَّ إِنْذَارَ قَوْمِهِ ==== وَأَحْمَدُ عَمَّ النَّاسَ أَدْنَى وَأَبْعَدَا

وأَخْلِصْ لَدَى الأَعْمَالِ نِيَّتَكَ الَّتِي = بِهَا تَرْتَقِي الأَعْمَالُ لله مُصعدَا

وَصَلِّ عَلَى الزَاكي الُمجيرِ مِنَ العَمَى = نَبِيِّ الهُدَى خَيْرِ الأَنَامِ مُحَمَّدا

وَ لِلَّهِ حَمْدَي سَرْمَدًا غيرَ مُنْقَضٍ = عَلَى مَا هَدَى حَمْدًا كَثِيرًا مُرَدَّدَا

هذه المنظومة الماتعة نقلاً من كتاب " نوادر الإمام ابن حزم " السفر الثاني ص١١٢ ـــ ١١٧ ، و" مجموعة الرسائل الكمالية رقم ١٦ " ص ٢٥٧ ـــ ٢٦٣ ، ونشرها أيضاً الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني بمجلة معهد المخطوطات العربية في الجزء الأول من المجلد الحادي والعشرين عام ١٩٧٥م ص ١٤٨ ـــ ١٥١

أفاده شيخنا الجليل أبو عبد الرحمن عبد العزيز الحنوط حفظه الله تعالى